بسم الله الرحمن الرحيم

٦٣ - كتابُ مناقب الأنصار

١ - باب مَناقب الأنصَار

{والّذينَ تَبَوَّءُوا الدّارَ والإيمانَ من قبلهم يُحبُّونَ مَن هاجَرَ إليهم ولا يَجِدونَ في صُدورهم حاجةً مما أوتوا} /الحشر: ٩/

٣٧٧٦ - عن غيلان بن جَريرٍ قال: «قلتُ لأنسٍ: أرأيتَ اسمَ الأنصار كُنتُمْ تُسمَّونَ به، أم سمَّاكمُ اللهُ؟ قال: بل سَمَّانا الله، كنَّا ندخُل على أنَسٍ فيحدِّثنا بمناقبِ الأنصار ومَشاهِدهم، ويُقبِلُ عليَّ أو على رجلٍ من الأزْدِ فيقول: فعل قومُكَ يومَ كذا وكذا كذا وكذا».

[الحديث ٣٧٧٦ - طرفه في: ٣٨٤٤]

٣٧٧٧ - عَنْ عَائِشَة رضيَ اللهُ عَنْهَا قالَتْ: «كانَ يَوْمُ بعاثَ يوماً قدَّمَهُ الله لرسولهِ ﷺ، فقَدِمَ رسولُ الله ﷺ وقد افترقَ مَلأهُمْ، وقُتِلت سَرَواتُهُمْ وجُرحوا، فقدَّمَهُ الله لرسولِهِ ﷺ في دُخولهم في الإسلام.

[الحديث ٣٧٧٧- طرفاه في: ٣٩٣،٣٨٤٦]

٣٧٧٨ - عَنْ أبِي التَّيَّاح قال سمعتُ أنساً رضيَ اللهُ عَنْهُ يقولُ: «قالَت الأنصارُ يومَ فتح مكة - وأعطى قريشاً -: والله إنَّ هذا لهَو العجَبُ، إنَّ سيوفَنا تَقطرُ من دِماءِ قُرَيشٍ، وغنائمنا تُرَدُّ عليهم، فبلغَ ذلك النبيَّ ﷺ فدَعا الأنصارَ، قال فقال: ماالذي بلَغني عنكم؟ - وكانوا لا يكذِبون - فقالوا: هوَ الذي بَلغكَ، قالَ: أوَ لا ترضَونَ أن يَرجعَ الناسُ بالغَنائم إلى بُيوتهم، وترجعون برسولِ اللهِ ﷺ إلى بُيوتِكم؟ لو سَلَكَتِ الأنصارُ وادِيًا أو شِعباً لسلكتُ واديَ الأنصار أو شِعبَهم».

قوله (باب مناقب الأنصار) هو اسم إسلامي، سمى به النبي ﷺ الأوس والخزرج وحلفاءهم كما في حديث أنس، والأوس ينسبون إلى أوس بن حارثة، والخزرج ينسبون إلى الخزرج بن حارثة، وهما ابنا قيلة، وهو اسم أمهم وأبوهم هو حارثة بن عمرو بن عامر الذي يجتمع اليه أنساب الأزد، وقوله {والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم} الآية تقدم شرحها في أول مناقب عثمان.

قوله (كنا ندخل) كذا في هذه الرواية بغير أداة العطف، وهو من كلام غيلان لا من كلام أنس.

قوله (كنا ندخل على أنس) أي بالبصرة.

قوله (ويقبل علي) أي مخاطبًا لي.

قوله (فعل قومك كذا) أي يحكي ما كان من مآثرهم في المغازي ونصر الإسلام.

قوله (كان يوم بعاث) وهو مكان -ويقال حصن وقيل مزرعة- عند بني قريظة على ميلين من المدينة، كانت به وقعة بين الأوس والخزرج، فقتل فيها كثير منهم، وكان رئيس الأوس فيه حضير والد أسيد بن حضير وكان يقال له حضير الكتائب وبه قتل، وكان رئيس الخزرج يومئذ عمرو بن النعمان البياضي فقتل فيها أيضا، وكان النصر فيها أولا للخزرج ثم ثبتهم حضير فرجعوا وانتصرت الأوس وجرح حضير يومئذ فمات فيها وذلك قبل الهجرة بخمس سنين.

قوله (سرواتهم) أي خيارهم، والسروات جمع سراة، والسراة جمع سري وهو الشريف.

قوله (يوم فتح مكة) أي عام فتح مكة، لأن الغنائم المشار إليها كانت غنائم حنين، وكان ذلك بعد الفتح بشهرين.

٢ ـ باب قَول النبيِّ ﷺ «لولا الهجرةُ لكنتُ امرَءاً من الأنْصَارِ»

قالهُ عبدُ الله بن زيدٍ عنِ النبيِّ ﷺ.

٣٧٧٩ ـ عَنْ أَبِي هُريرَةَ رضيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النبيِّ ﷺ، أو قالَ أبو القاسم ﷺ «لو أنَّ الأنصارَ سَلَكوا وادياً أو شِعباً لسَلَكتُ في وادِي الأنصار، ولو لا الهجرةُ لَكنتُ امرَءاً من الأنصار، فقال أبو هريرةَ: ما ظَلَم -بأبي وأميّ- آوَوْهُ وَنَصَرُوهُ أو كلمة أخرى».

[الحديث ٣٧٧٩- طرفه في: ٧٢٤٤]

قال الخطابي: أراد ﷺ بذلك استطابة قلوب الأنصار حيث رضي أن يكون واحدا منهم لو لا مامنعه من سمة الهجرة،

قوله (فقال أبو هريرة ما ظلم) أي ما تعدى في القول المذكور ولا أعطاهم فوق حقهم، ثم بين ذلك بقوله «آووه ونصروه».

قوله (أو كلمة أخرى) لعل المراد وواسوه وواسوا أصحابه بأموالهم، وقوله (لسلكت في وادي الأنصار» أراد بذلك حسن موافقتهم له لما شاهده من حسن الجوار والوفاه بالعهد، وليس المراد أنه يصير تابعا لهم، هو المتبوع المطاع المفترض الطاعة على كل مؤمن.

٣ ـ باب إخاءُ النبيِّ ﷺ بينَ المهاجرينَ والأنصار

٣٧٨٠ ـ عَنْ إبراهيم بن سعدٍ عن أبيهِ عن جَدِّهِ قالَ: «لمَّا قَدِموا المدينة آخى رسولُ اللهِ ﷺ بينَ عبدِ الرحمنِ وسعدِ بن الرَّبيع ، قال لعبدِ الرحمن إني أكثرُ الأنصار مالاً، فاقسم مالي نصفَين، ولي امرأتان، فانظرْ أعجبَهما إليك فسَمِّها لي أطلِّقْها، فإذا انقضَتْ عدَّتُها فتزوَّجْهَا، قال: باركَ اللهُ لك في أهلك ومالك، أينَ سُوقُكم؟ فدلُّوهُ على سوق بني قينُقاعَ، فما انقلبَ إلا ومعَهُ فضلٌ من أقِطٍ وسَمن، ثمَّ تابعَ الغدُوَّ، ثم جاءَ يوماً وبه أثرُ صُفْرَةٍ، فقال النبيُّ ﷺ: مَهْيَم؟ قال: تَزَوَّجْتُ، قال: كم سُقت إليها؟ قال: نَواةً من ذهب -أو وَزنَ نواةٍ من ذهب- شكَّ إبراهيم».

٣٧٨١ ـ عَنْ أَنَسٍ رضيَ اللهُ عَنْهُ أنَّهُ قالَ: «قَدِمَ علينا عبد الرحمنِ بنُ عوفٍ وآخى النبي ﷺ بينَه وبين سعدِ بن الربيع -وكان كثيرَ المالِ- فَقالَ سعدٌ: قد علِمَت الأنصارُ أني من أكثرها مالا، سأقسِمُ مالي بيني وبينك شَطرَين، ولي امرأتانِ فانظرْ أعجبهما إليكَ فأطلِّقُها حتى إذا حَلَّتْ تزوجتَها، فقال عبدُ الرحمن: باركَ اللهُ لك في أهلكَ، فلمَ يَرجع يَومَئذٍ حتى أفضلَ شيئاً من سَمنٍ وأقطٍ، فلم يَلبَثْ إلا يَسيراً حتى جاءَ رسولَ اللهِ ﷺ وعليه وَضَرٌ من صُفْرة، فقال له رسولُ اللهِ ﷺ: مَهْيَم؟ قالَ: تزوجتُ امرأةً من الأنصار؟ قال: ما سُقتَ فيها؟ قال: وَزَنَ نواة من ذَهب -أو نواةً من ذهب- فقال: أوْلِمْ ولو بشاة».

٣٧٨٢ ـ عَنْ أَبِي هُريرَةَ رضيَ اللهُ عَنْهُ قالَ «قالَتِ الأنصارُ: أقسِمْ بينَنا وبينهُمُ النخلَ، قال: لا، قال: يَكفونَنا المَئونةَ ويَشركونَنا في الثَمر، قالوا: سمِعْنا وأطعنا»

قوله (باب إخاء النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار) سيأتي بسط القول فيه في أبواب الهجرة قبيل المغازي.

قوله (لما قدموا المدينة آخى رسول الله ﷺ بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع) أي ابن عمرو بن أبي زهير الأنصاري الخزرجي، أحد النقباء، استشهد بأحد، وسيأتي شرح قصة تزويج عبد الرحمن بن عوف في الوليمة من كتاب النكاح.

قوله (قالت الأنصار: اقسم بيننا وبينهم النخل) أي المهاجرين، وقد سبق الكلام عليه في المزارعة وفيه فضيلة ظاهرة للأنصار.

٤ ـ باب حبُّ الأنْصَار من الإيمان

٣٧٨٣ ـ عن البراء رضيَ اللهُ عَنهُ قال: سَمِعْتُ النبيَّ ﷺ - أو قال: قالَ النبيُّ ﷺ- «الأنصارُ لا يُحبُّهم إلا مؤمن، ولا يبْغضهُم إلا منافق، فمن أحبَّهم أحبَّهُ الله، ومَن أبغضهم أبغضَه الله».

٣٧٨٤ ـ عن أنَسِ بن مالكٍ رضيَ اللهُ عَنْهُ عنِ النبيِّ ﷺ قالَ: «آية الإيمانِ حُبُّ الأنصار، وآية النِّفاق بُغضُ الأنصار».

قوله (باب حب الأنصار) أي فضله، ذكر فيه حديث البراء « لا يحبهم إلا مؤمن» وحديث أنس «آية الإيمان حب الأنصار» قال ابن التين: المراد حب جميعهم وبغض جميعهم، لأن ذلك إنما يكون للدين، ومن أبغض بعضهم لمعنى يسوغ البغض له فليس داخلا في ذلك، وهو تقرير حسن، وقد سبق الكلام على شرح الحديث في كتاب الإيمان.

٥ ـ باب قَول النبيِّ ﷺ للأنصار: أنْتُمْ أَحَبُّ النَّاس إليَّ

٣٧٨٥ ـ عن أنَسٍ رضيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: رَأى النبيُّ ﷺ النساء والصبْيان مُقبِلينَ -قالَ حسِبتُ أنهُ قال من عُرْسٍ- فقامَ النبيُّ ﷺ مُمَثَّلاً فقال: اللّهمَّ أنتم من أحبِّ الناسِ إليَّ، قالها ثلاثَ مِرار».

[الحديث ٣٨٧٥ طرفه :٥١٨٠]

٣٧٨٦ ـ وعنه أيضًا رضيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: «جاءَتِ امرأةٌ من الأنصار إلى رسولِ الله ﷺ ومعه صبيٌّ لها، فكلمها رسولُ الله ﷺ فقال: والذي نفسي بيده، إنكم أحبُّ الناسِ إليَّ، مرتين».

[الحديث ٣٧٨٦ – طرفاه في ٥٢٣٤، ٦٦٤٥]

قوله (باب قول النبي ﷺ للأنصار أنتم أحب الناس إليّ) هو على طريق الإجمال، أي مجموعكم أحب إليَّ من مجموع غيركم، فلا يعارض قوله في الحديث الماضي في جواب «من أحب الناس إليك؟ قال: أبو بكر» الحديث.

قوله (فقام النبي ﷺ ممثلا).

قال ابن التين: كذا وقع رباعيا، والذي ذكره أهل اللغة: مثل الرجل بفتح الميم وضم المثلثة مثولا إذا انتصب قائما، ثلاثي، انتهى.

قوله (فكلمها رسول الله ﷺ) أي أجابها عما سألته، أو ابتدأها بالكلام تأنيسا).

٦ ـ باب أتْبَاع الأنْصَارِ

٣٧٨٧ ـ عن زيد بن أرقمَ « قالت الأنصار: يارسولَ الله، لكلِّ نبيّ أتباع، وإنّا قد اتَّبعناك، فادعُ الله أن يَجعلَ أتباعَنا منّا، فدَعا به، فَنَمَيْتُ ذلك إلى ابن أبي ليلى، فقالَ: قد زَعم ذلكَ زيدٌ».

[الحديث ٣٧٨٧- طرفه في: ٣٧٨٨]

٣٧٨٨ ـ عن عمرو بن مرَّةَ قالَ سمعتُ أبا حمزةَ رجلاً منَ الأنصار «قالتِ الأنصارُ: إن لكلِّ قومٍ أتباعاً، وإنّا قد اتَّبعناك، فادعُ الله أن يَجعل أتباعنَا منا، قال النبيُّ ﷺ: اللهم

اجعَلْ أتباعَهم منهم، قال عمرُو: فذكَرتُه لابن أبي ليلى قالَ: قد زَعَمَ ذاك زيدٌ، قال شعبة: أظنُّهُ زيدَ بنَ أرقمَ».

قوه (باب أتباع الأنصار) أي من الحلفاء والموالي.

قوله (أن يجعل أتباعنامنا) أي يقال لهم الأنصار حتى تتناولهم الوصية بهم بالإحسان إليهم ونحو ذلك.

قوله (فدعا به) أي بما سألوا، وبين ذلك في الرواية التي تليها بلفظ « فقال اللهم اجعل أتباعهم منهم».

قوله (فنميت ذلك) أي نقلته.

٧ ـ باب فَضْلِ دُورِ الأَنْصَارِ

٣٧٨٩ ـ عن أبي أُسَيدٍ رضيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النبيُّ ﷺ «خيرُ دُورِ الأنصارِ بنو النَّجار، ثمَّ بنو عبد الأشهل، ثُمَّ بنو الحارث بن الخَزْرَج، ثمَّ بَنو ساعدةَ، وفي كلِّ دُورِ الأنصار خير، فقال سعدٌ: ما أرَى النبيَّ ﷺ إلا قد فَضَّلَ علينا، فقيل: قد فضَّلكم على كثير».

[الحديث ٣٧٨٩ - أطرافه في: ٣٧٩٠، ٣٨٠٧، ٦٠٥٣]

٣٧٩٠ ـ وعنه أيضًا رضي الله عنه أنه سمعَ النبيَّ ﷺ يقول « خيرُ الأنصار -أو قالَ: خيرُ دُورِ الأنصار - بنو النّجار وبنو عبدِ الأشْهَل، وبنو الحارث، وبنو ساعدة».

٣٧٩١ ـ عن أبِي حُمَيدٍ عن النبيِّ ﷺ قالَ: «إن خيرَ دُور الأنصار دارُ بني النَّجار، ثُمَّ عبد الأشَهل، ثم دارُ بني الحارث، ثم بني ساعدةَ، وفي كلِّ دورُ الأنصار خير، فَلحِقنا سعد بن عبادة، فقال أبا أُسَيدٍ: ألم تَرَ أن نبيَّ اللهِ ﷺ خيَّرَ الأنصارَ فجعلنَا أخيراً؟ فأدركَ سعدُ النبيَّ ﷺ فقالَ: يارسولَ الله خُيِّرَ دورُ الأنصار فجُعِلْنا آخِراً، فقال: أوَ ليسَ بحَسْبِكم أن تكونوا منَ الخِيار».

قوله (باب فضل دور الأنصار) أي منازلهم.

قوله (عن أبي أسيد) بالتصغير وهوالساعدي، وهو مشهور بكنيته، ويقال اسمه مالك.

قوله (خير دور الأنصار بنو النجار) هم من الخزرج، والنجار هم تيم الله، وسمى بذلك لانه ضرب رجلا فنجره فقيل له النجار، وهو ابن ثعلبة بن عمرو من الخزرج.

قوله (ثم بنو عبد الأشهل) هم من الأوس، وهو عبد الأشهل بن جشم بن الحارث بن الخزرج الأصغر بن عمرو بن مالك بن الأوس بن حارثة.

قوله (ثم بنو الحارث بن الخزرج) أي الأكبر أي ابن عمرو بن مالك بن الأوس المذكور ابن حارثة.

قوله (ثم بنو ساعدة) هم الخزرج أيضا، وساعدة هو ابن كعب بن الخزرج الأكبر.

قوله (خير دور الأنصار وفي كل دور الأنصار خير) خير الأولى بمعنى أفضل والثانية اسم أي الفضل حاصل في جميع الأنصار وإن تفاوتت مراتبه.

قوله (فقال سعد) أي ابن عبادة، وهو من بني ساعدة أيضا، وكان كبيرهم يومئذ.

قوله (أوليس بحسبكم) أي كافيكم.

قوله (من الخيار) أي الأفاضل لأنهم بالنسبة إلى من دونهم أفضل، وكأن المفاضلة بينهم وقعت بحسب السبق إلى الإسلام، وبحسب مساعيهم في إعلاء كلمة الله، ونحو ذلك.

٨ ـ باب قَوْلِ النبيِّ ﷺ

لِلأنصَارِ «اصبرُوا حتّى تَلقوني على الحوض» قَالهُ عبدُ اللّه بنُ زيدٍ عن النبيِّ ﷺ

٣٧٩٢ ـ عن أسيد بن حُضَيرٍ رضيَ اللّهُ عَنْهم«أنَّ رجُلاً من الأنصارِ قال: يارسولَ اللّهِ، ألا تستعمِلُني كما استعملتَ فلاناً؟ قالَ: ستَلقَونَ بعدي أثَرَةً، فاصبروا حتى تَلقَوني على الحوض».

[الحديث ٣٧٩٢ ـ طرفه في: ٧٠٥٧]

٣٧٩٣ ـ عن أنَسِ بنِ مالِكٍ رضيَ اللّهُ عَنْهُ قال: «قالَ النبيُّ ﷺ للأنصار: إنَّكُمْ ستلقونَ بعد أثرةً، فاصبروا حتى تَلقَوني، ومَوعِدُكم الحَوض».

٣٧٩٤ ـ عن يحيى بن سعيدٍ أنه سمع أنسَ بن مالكٍ رضيَ اللّهُ عَنْهُ حِيْنَ خرجَ مَعَهُ إلَى الوليدِ قالَ: «دعَا النبيُّ ﷺ الأنصار إلَى أنْ يقطعَ لَهُمْ البحرَين، فقالوا: لا، إلا أن تُقطِعَ لإخواننا من الْمهاجرينَ مِثْلَهَا، قال: إمَّا لا فاصبروا حتَّى تَلقَوني، فإنَّهُ سيُصيبُكم بَعدي أثرة».

قوله (باب قول النبي ﷺ للأنصار اصبروا حتى تلقوني على الحوض) أي مخاطبا للأنصار بذلك.

قوله (قاله عبد الله بن زيد) أي ابن عاصم المازني، وحديثه هذا وصله المؤلف بأتم من هذا في غزوة حنين كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

قوله (ألا تستعملني) أي تجعلني عاملا على الصدقة أو على بلد.

قوله (ستلقون بعدي أثرة) وأشار بذلك إلى أن الأمر يصير في غيرهم فيختصون دونهم بالأموال، وكان الأمر كما وصف ﷺ، وهو معدود فيما أخبر به من الأمور الآتية فوقع كما قال: وسيأتي مزيد في الكلام عليه في الفتن.

قوله (وموعدكم الحوض) أي حوض النبي ﷺ يوم القيامة.

قوله (حين خرج معه) أي سافر.

قوله (إلى الوليد) أي ابن عبد الملك بن مروان، وكان أنس قد توجه من البصرة حين آذاه الحجاج إلى دمشق يشكوه إلى الوليد بن عبد الملك فأنصفه منه.

٩ - باب دُعاءِ النبيِّ ﷺ «أصْلِحَ الأنصارَ والمهَاجرة»

٣٧٩٥ - عن أنسِ بن مالكٍ رضيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «لا عيشَ إلا عيش الآخرة، فأصلحِ الأنصارَ والمهاجِرة»، وعن قَتادةَ عن أنسٍ عنِ النبيِّ ﷺ مثله،، وقالَ: «فاغفِر للأنصار».

٣٧٩٦ - عن حُمَيدٍ الطويلِ سمِعْتُ أنسَ بنِ مالِكٍ رضيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: «كَانتِ الأنصارُ يَوْمَ الخَنْدَقِ تقول:

نحنُ الذينَ بايَعوا محمداً على الجِهادِ ما حَيينَا أبدا

فأجابهم: اللّهمَّ لا عيشَ إلا عيشُ الآخرة، فأكرِم الأنصارَ والمهاجرة»

٣٧٩٧ - عنْ سهلٍ قال: «جَاءَنَا رسولُ اللهِ ﷺ ونَحن نحفرُ الخندق ونَنقلُ التُّراب عَلَى أكتادِنا، فقالَ رسولُ اللهُ ﷺ: «اللّهُمَّ لا عَيْشَ إلاّ عيشُ الآخِرَة فاغْفر للمهاجرينَ والأنْصار».

[الحديث ٣٧٩٧ - طرفاه في: ٤٠٩٨، ٦٤١٤]

قوله (باب دعاء النبي ﷺ : أصلح الأنصار والمهاجرة) أي قائلا ذلك، ذكر فيه حديث أنس، قوله «على أكتادنا» جمع كتد وهو ما بين الكاهل إلى الظهر.

١٠ - باب قول اللّه عَزَّ وجلَّ
{ويُؤْثرون على أنْفُسهِمْ ولو كَان بِهم خَصَاصَةٌ} / الحشر:٩/

٣٧٩٨ - عن أَبِي هُرِيرَةَ رضيَ اللّهُ عَنْهُ «أن رجلاً أتى النبيَّ ﷺ، فَبَعَثَ إلىَ نِسَائِه، فقلنَ: مَا مَعَنَا إلا الماء، فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: مَنْ يَضُمُّ -أو يضيفَ- هذا؟ فقالَ رجُلٌ من الأنصار: أنَا، فانطلَقَ به إلى امرأتِهِ فقال: أكرِمي ضيفَ رسولِ اللهِ ﷺ، فقالت: ما عندَنا إلا قُوتُ صبياني، فقالَ: هَيِّئي طعامَكِ، وأصْبحي سِراجَكِ، ونَوِّمي صبيانَكِ إذا أرادوا عَشاءً، فَهَيَّأتْ طعامَها، وأصبَحَتْ سِراجَها، ونَوَّمَتْ صبيانَها، ثمَّ قامَتْ كأنَّهَا تُصلِحُ سِراجَها فأطفأتْهُ، فجعَلا يُريانه أنهما يأكلان، فباتا طاويين، فلم أصبحَ غَدا إلى رسولِ اللهِ ﷺ فقال: ضَحِك الله الليلة -أو عَجِبَ- من فَعالِكما، فأنزَلَ الله {ويُؤْثرونَ على أنفُسِهم ولو كان بهم خَصاصة، ومَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسهِ فأولئك همُ المُفْلِحُونَ}.

[الحديث ٣٧٩٨ - طرفه في:٤٨٨٩]

قوله (أن رجلا أتى النبي ﷺ) لم أقف على اسمه وسيأتي أنه أنصاري.

قوله (فبعث إلى نسائه) أي يطلب منهم ما يضيفه به.

قوله (فقلن ما معنا) أي ما عندنا (إلا الماء) وفيه ما يشعر بأن ذلك كان في أول الحال قبل أن يفتح الله لهم خيبر وغيرها.

قوله (من يضم أو يضيف) أي من يؤوي هذا فيضيفه، وفي رواية أبي أسامة «ألا رجل يضيفه هذه الليلة يرحمه الله».

قوله (فقال رجل من الأنصار) زعم ابن التين أنه ثابت بن قيس بن شماس.

قوله (إلا قوت صبياني) يحتمل أن يكون هو وامرأته تعشيا وكان صبيانهم حينئذ في شغلهم أو نياما فأخروا لهم ما يكفيهم، أو نسبوا العشاء إلى الصبية لأنهم إليه أشد طلبا، وهذا هو المعتمد لقوله في رواية أبي أسامة «ونطوي بطوننا الليلة» وفي آخر هذه الرواية أيضا «فأصبحا طاويين».

قوله (وأصبحي سراجك) أي أوقديه.

قوله (نومي صبيانك) في رواية لمسلم «علليهم بشيء».

قوله (ضحك الله الليلة أو عجب من فعالكما) نسبة الضحك والتعجب إلى الله مجازية والمراد بهما الرضا بصنيعهما[1]، وفي الحديث دليل على نفوذ فعل الأب في الابن الصغير وإن كان مطويا على ضرر خفيف إذا كان في ذلك مصلحة دينية أو دنيوية، وهو محمول على ما إذا عرف بالعادة من الصغير الصبر على مثل ذلك، والعلم عند الله تعالى.

---

(١) ليت المصنف نزه كتابه عن بيان غير بيان رسول الله ﷺ، واكتفى بأن قال: ضحك وعجب يليق بجلاله عز وجل، والكلام في الصفات كالكلام في الذات: اثبات بلا تمثيل، وتنزيه بلا تعطيل {ليس كمثله شيء وهو السميع البصير} وهذا هو مذهب الصحابة والتابعين، وتابعيهم إلى يوم الدين. (الشيخ محب الدين الخطيب)

١١ - باب قولِ النبيِّ ﷺ «اقبَلوا من مُحسنِهم، وتجاوَزوا عن مسيئِهم».

٣٧٩٩ - عن هشام بن زيدٍ قال: سمعتُ أنسَ بنَ مالكٍ يقول «مَرَّ أبو بكر والعباسُ رضيَ الله عنهما بمجلس من مَجالس الأنصار وهم يَبكون، فقال: مايُبكيكم؟ قالوا: «ذكرنا مجلسَ النبيِّ ﷺ منّا، فدخَلَ على النبيِّ ﷺ فأخْبَرَهُ بذلك، قال فخرَجَ النبيُّ ﷺ وقد عصَبَ على رأسه حاشيةَ بُرد، قال فصعِدَ المنبرَ، ولمْ يَصعَدْهُ بعدَ ذلك اليوم فحمِدَ الله وأثنى عليهِ ثمَّ قال: أوصِيكم بالأنصار، فانهم كَرِشي وعَيبَتي، وقد قَضَوُا الذي عليهم وبَقِيَ الذي لهم، فاقبَلوا من مُحسنِهم، وتجاوزوا عن مُسيئِهم».

[الحديث ٣٧٩٩ طرفه في:٣٨٠١]

٣٨٠٠ - عن ابنِ عبّاسٍ رضيَ الله عنهما قال «خَرجَ رسولُ اللهِ ﷺ وعليه مِلْحفةٌ مُتَعَطِّفاً بها على مَنكِبَيْه، وعليه عِصابةٌ دسْماءُ حتى جلس على المنبر فحمِدَ الله وأثنى عليه ثمَّ قال: أما بعد أيُّها الناس إنَّ الناسَ يكثُرون وتَقِلُّ الأنصارُ حتى يكونوا كالملح في الطعام، فَمن ولي منكم أمراً يَضُرُّ فيه أحدا أو يَنفعهُ فليَقبَلْ من مُحسنِهم ويَتجاوزْ عن مُسيئِهم».

٣٨٠١ - عن أنسِ بن مالكٍ رضيَ الله عنه عن النبيِّ ﷺ قال: «الأنصارُ كَرِشي وعَيبَتي، والناسُ سيكثرون ويقِلُّون، فاقبلوا من محسنهم وتجاوَزوا عن مُسيئِهم».

قوله (باب قول النبي ﷺ: اقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم) يعني الأنصار.

قوله (مر أبو بكر) أي الصديق (والعباس) أي ابن عبد المطلب، وكان ذلك في مرض النبي ﷺ وهم يبكون.

قوله (فقال ما يبكيكم)؟ لم أقف على اسم الذي خاطبهم بذلك هل هو أبو بكر أو العباس، ويظهر لي أنه العباس.

قوله (أوصيكم بالأنصار) استنبط منه بعض الأئمة أن الخلافة لا تكون في الأنصار لأن من فيهم الخلافة يوصون ولا يوصى بهم، ولا دلالة فيه إذ لا مانع من ذلك.

قوله (كرشي وعيبتي) أي بطانتي وخاصتي، ويقال: لفلان كرش منثورة أي عيال كثيرة .والعيبة ما يحرز فيه الرجل نفيس ما عنده، يريد أنهم موضع سره وأمانته.

قوله (وقد قضوا الذي عليهم وبقي الذي لهم) يشير إلى ماوقع لهم ليلة العقبة من المبايعة، فانهم بايعوا على أن يؤوا النبي ﷺ وينصروه على أن لهم الجنة فوفّوا بذلك.

قوله (متعطفا بها) أي متوشحا مرتديا .

قوله (دسماء) أي لونها كلون الدسم وهو الدهن.

قوله في حديث أنس (وإن الناس[1] سيكثرون ويقلون) أي أن الأنصار يقلون، وفيه إشارة

(١) رواية الباب واليونينية بدون "وإن"

إلى دخول قبائل العرب والعجم في الإسلام وهم أضعاف أضعاف قبيلة الأنصار، فمهما فرض في الانصار من الكثرة كالتناسل فرض في كل طائفة من أولئك، فهم أبدا بالنسبة إلى غيرهم قليل، ويحتمل أن يكون ﷺ اطلع على أنهم يقلون مطلقا فأخبرهم بذلك فكان كما أخبر لأن الموجودين الآن من ذرية علي بن أبي طالب ممن يتحقق نسبه إليه أضعاف من يوجد من قبيلتي الأوس والخزرج ممن يتحقق نسبه وقس على ذلك، وقوله «حتى يكونوا كالملح في الطعام» أي في القلة .

قوله (ويتجاوز عن مسيئهم) أي في غير الحدود وحقوق الناس.

١٢ ـ باب مناقِبِ سعدِ بن مُعاذ رضيَ الله عنه

٣٨٠٢ ـ عن البراءِ رضيَ اللهُ عنه قال: «أُهْدِيَتْ للنبيِّ ﷺ حُلَّةُ حَريرٍ، فجعلَ أصحابهُ يَمسُّونها ويَعجَبونَ من لِينها، فقال: أتَعجَبونَ من لِينِ هذه؟ لَمناديلُ سعد بن مُعاذٍ خيرٌ منها أو ألْيَن»

٣٨٠٣ ـ عن جابرٍ رضيَ اللّه عنه سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول: «اهتزَّ العرش لموتِ سعدِ بن مُعاذ» وعن جابرٍ عن النبيِّ ﷺ مِثله « فقال رجلٌ لجابر: فإن البَراءَ يقول اهتزَّ السَّرير فقال. إنه كان بينَ هذين الحيَّين ضغائنُ، سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول: اهتزَّ عرشُ الرحمنِ لموت سعدِ بن مُعاذ»

٣٨٠٤ ـ عن أبي سعيدٍ الخُدرِيِّ رضي اللّه عنه« أنَّ أناسا نزَلوا على حكم سعدِ بن مُعاذٍ، فأرسلَ إليهَ فجاءَ على حمارٍ، فلمّا بلغَ قريباً منَ المسجدِ قال النبيُّ ﷺ: قوموا إلي خيركم -أو سيدكم- فقال: يا سعدُ، إنَّ هؤلاءِ نزَلوا على حُكمِك قال: فإني أحكم فيهم أن تُقتَلَ مُقاتِلتُهم، وتُسبى ذراريهم. قال: حكمتَ بحكم اللّهِ، أو بحكمِ الملك».

قوله (باب مناقب سعد بن معاذ) أي ابن النعمان بن امرىء القيس بن عبد الأشهل، وهو كبير الأوس، كما أن سعد بن عبادة كبير الخزرج.

قوله (أهديت للنبي ﷺ حلة حرير) الذي أهداها له أكيدر دومة.

قوله (فإن البراء يقول: اهتز السرير) أي الذي حمل عليه.

قوله (انه كان بين هذين الحيين) أي الأوس والخزرج.

قوله (ضغائن) وهي الحقد، قال الخطابي: انما قال جابر ذلك لأن سعدا كان من الأوس والبراء خزرجي والخزرج لا تقر للأوس بفضل، كذا قال وهو خطأ فاحش، فإن البراء أيضا أوسي لأنه ابن عازب بن الحارث بن عدي بن مجدعة بن حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس، يجتمع مع سعد بن معاذ في الحارث بن الخزرج والد الحارث بن

الخزرج، وليس هو الخزرج الذي يقابل الأوس وإنما سمي على اسمه. نعم الذي من الخزرج الذين هم مقابلو الاوس جابر؛ وإنما قال جابر ذلك إظهاراً للحق واعترافا بالفضل لأهله فكأنه تعجب من البراء كيف قال ذلك مع أنه أوسي، ثم قال: أنا وإن كنت خزرجيا وكان بين الأوس والخزرج ما كان، لا يمنعني ذلك أن أقول الحق، فذكر الحديث. والعذر للبراء أنه لم يقصد تغطية فضل سعد ابن معاذ، وإنما فهم ذلك فجزم به، هذا الذي يليق أن يظن به، وهو دال على عدم تعصبه. ولما جزم الخطابي بما تقدم احتاج هو ومن تبعه إلى الاعتذار عما صدر من جابر في حق البراء وقالوا في ذلك ما محصله: إن البراء معذور لأنه لم يقل ذلك على سبيل العداوة لسعد، وإنما فهم شيئاً محتملا فحمل الحديث عليه، والعذر لجابر أنه ظن أن البراء أراد الغض من سعد فساغ له أن ينتصر له، والله أعلم، والمراد باهتزاز العرش استبشاره وسروره بقدوم روحه، يقال لكل من فرح بقدوم قادم عليه اهتز له، ومنه اهتزت الأرض بالنبات إذا اخضرت وحسنت.

قوله (إن أناسا نزلوا على حكم سعد) هم بنو قريظة (وسيأتي شرح ذلك في المغازي[١]).

١٣ ـ باب مَنقبة أُسَيْدِ بن حُضَير وعبّادِ بن بِشر رضيَ الله عنهما

٣٨٠٥ ـ عن أنسٍ رضيَ اللهُ عنه (إنّ رجُلَين خَرجا من عندِ النبيِّ ﷺ في ليلة مُظلمة، وإذا نورٌ بين أيديهما حتى تفرّقَا فتفرّقَ النور معَهما) وقال مَعْمرٌ عن ثابتٍ عن أنس «إنّ أُسَيدَ بن حُضَيرٍ ورجُلا من الأنصار»، وقال حماد أخبرنا ثابت عن أنس «كان أُسَيدُ بن حُضَير وعَبّادُ بن بِشْرٍ عند النبي ﷺ».

قوله (باب منقبة أسيد بن حضير وعبّاد بن بشر) هو أسيد بن حضير بن سماك بن عتيك بن رافع بن امرىء القيس بن زيد بن عبد الأشهل الأنصاري الأوسي الأشهلي، يكنى أبا يحيى وقيل غير ذلك، ومات في سنة عشرين في خلافة عمر على الأصح. وعبادة بن بشر هو ابن وقش كما سأبينه، وفي تاريخ البخاري ومسند أبي يعلى وصححه الحاكم من طريق ابن اسحق عن يحيى بن عباد عن أبيه عن عائشة قالت «ثلاثة من الأنصار لم يكن أحد يعتد عليهم فضلا كلهم من بني عبد الأشهل: سعد بن معاذ وأسيد بن حضير وعباد بن بشر».

قوله (إن رجلين) ظهر من رواية معمر أن أسيد بن حضير أحدهما، ومن رواية حماد أن الثاني عباد بن بشر ولذلك جزم به المؤلف في الترجمة وأشار إلى حديثهما.

١٤ ـ باب مَناقبِ معاذِ بن جبَل رضيَ الله عنه

٣٨٠٦ ـ عن عبدِ اللهِ بنِ عمرو رضيَ اللهُ عنهما سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول: «استقرئوا

---

(١) كتاب المغازي باب / ٣٠ ح ٤١٢١ - ٣ / ٣٢٠

القرآنَ من أربعة: من ابن مسعود، وسالمٍ مولى أبي حُذَيفة، وأُبَيٍّ، ومُعاذِ بن جَبَل»

قوله (مناقب معاذ بن جبل) أي ابن عمرو بن أوس، من بني أسد بن شاردة بن يزيد بن جشم بن الخزرج الخزرجي، يكنى أبا عبد الرحمن، شهد بدرا والعقبة، وكان أميراً للنبي ﷺ على اليمن، ورجع بعده إلى المدينة، ثم خرج إلى الشام مجاهداً فمات في طاعون عمواس سنة ثماني عشرة. ذكر فيه حديث عبد الله بن عمرو «استقرئوا القرآن» وقد تقدم شرحه قريبا، وقد أخرج ابن حبان والترمذي من حديث أبي هريرة رفعه «نعم الرجل معاذ بن جبل» كان عقبيا بدريا من فقهاء الصحابة، وقد أخرج الترمذي وابن ماجه عن أنس رفعه «أرحم أمتي أبوبكر -وفيه- وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ» ورجاله ثقات، وصح عن عمر أنه قال: «من أراد الفقه فليأت معاذا»، (وسيأتي له ذكر في تفسير سورة النحل) وعاش معاذ ثلاثا وثلاثين سنة على الصحيح.

١٥ ـ باب مَنقبة سعد بن عُبَادَة رضيَ الله عنه

وقالت عائشة «وكان قبل ذلك رجُلاً صالحاً»

٣٨٠٧ ـ عن أبي أَسَيدٍ قال: رسولُ اللهِ ﷺ «خَيْرُ دورِ الأنصار بنو النجّار، ثمَّ بنو عبدِ الأشهَلِ، ثم بنو الحارثِ بن الخَزرجِ، ثم بنو ساعدة، وفي كلِّ دُور الانصار خير. فقال سعدُ بن عبادةَ -وكان ذا قدَم في الإسلام-: أرَى رسولَ الله ﷺ قد فضَّلَ علينا. فقيل له: قد فضَّلكم على ناس كثير».

قوله (منقبة سعد بن عبادة) أي ابن دليم بن حارثة بن أبي خزيمة بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة يكنى أبا ثابت، وهو والد قيس بن سعد أحد مشاهير الصحابة، وكان سعد كبير الخزرج وأحد المشهورين بالجود ومات بحوران من أرض الشام سنة أربع عشرة أو خمس عشرة في خلافة عمر. ثم ذكر فيه حديث أبي أسيد في دور الأنصار وقد تقدم قريبا وأورده هنا لقوله في هذه الطريق «وكان ذا قدم في الإسلام» .

قوله (وقالت عائشة: وكان قبل ذلك رجلا صالحا) هذا طرف من حديث الإفك الطويل، وسيأتي بتمامه في تفسير سورة النور إن شاء الله تعالى، وذكرت عائشة فيه ما دار بين سعد بن عبادة وأسيد بن حضير حيث قال: «وإن كان من إخواننا من الخزرج فمرنا بأمرك، فقال له سعد بن عبادة: لا تستطيع قتله،» فثار بينهم الكلام إلى أن أسكتهم النبي ﷺ، فأشارت عائشة إلى أن سعد بن عبادة كان قبل أن يقول تلك المقالة رجلا صالحا، ولا يلزم من ذلك أن يكون خرج عن هذه الصفة له إذ ليس في الخبر تعرض لما بعد تلك المقالة، والظاهر استمرار ثبوت تلك الصفة له لأنه معذور في تلك المقالة لأنه كان فيها متأولا، فلذلك

أوردها المصنف في مناقبه، ولم يبد منه ما يعاب به قبل هذه المقالة وعذر سعد فيها ظاهر، لأنه تخيل أن الأوسي أراد الغض من قبيلة الخزرج لما كان بين الطائفتين فرد عليه.

١٦ ـ باب مَنَاقب أُبَيٍّ بن كعبٍ رضيَ الله عنه

٣٨٠٨ ـ عن مَسروقٍ قال: «ذُكرَ عبدُ اللهِ بن مسعودٍ عندَ عبد الله بن عمرو فقال: ذاك رجُلٌ لا أزالُ أحبُّه، سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول: خُذوا القرآن من أربعةٍ من عبد الله بن مسعودٍ -فبدأ به- وسالمٍ مولى أبي حُذَيفةَ ومُعاذِ بن جَبَلٍ، وأُبَيٍّ بن كعب».

٣٨٠٩ ـ عن أنس بن مالك رضيَ الله عنه «قال النبيُّ ﷺ لأُبيٍّ: إنَّ الله أمرني أن أقرأ عليك {لم يكن الذين كفروا من أهلِ الكتاب} قال: وسمّاني؟ قال: نعم. فبكى».

[الحديث ٣٨٠٩ أطراه في:٤٩٥٩،٤٩٦٠،٤٩٦١]

قوله (باب مناقب أبيٍّ بن كعب) أي ابن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار الأنصاري الخزرجي النجاري، يكنى أبا المنذر وأبا الطفيل، كان من السابقين من الأنصار، شهد العقبة وبدرا وما بعدهما، مات سنة ثلاثين وقيل غير ذلك، ذكر فيه حديث عبد الله بن عمرو المتقدم قريبا في مناقب عبدالله بن مسعود.

قوله (قال وسمّاني) ؟ أي هل نص عليٌّ باسمي، أو قال اقرأ على واحد من أصحابك فاخترتني أنت؟ فلما قال له: «نعم» بكى إما فرحا وسرورا بذلك، وإما خشوعا وخوفا من التقصير في شكر تلك النعمة، ويؤخذ من هذا الحديث مشروعية التواضع في أخذ الإنسان العلم من أهله وإن كان دونه. وقال القرطبي: خص هذه السورة بالذكر لما اشتملت عليه من التوحيد والرسالة والإخلاص، والصحف والكتب المنزلة على الأنبياء وذكر الصلاة والزكاة والمعاد وبيان أهل الجنة والنار مع وجازتها.

١٧ ـ باب مَناقبِ زيد بن ثابتٍ رضيَ الله عنه

٣٨١٠ ـ عن أنسٍ رضيَ الله عنه «جَمَع القرآنَ على عهدِ النبيِّ ﷺ أربعةٌ كلهم من الأنصار: أُبَيٌّ ومُعاذُ بن جبَلٍ وأبو زيدٍ وزيدُ بن ثابت. قلتُ لأنسٍ: مَن أبو زيدٍ؟ قال: أحدُ عُمومتي»

[الحديث ٣٨١٠ ـ أطرافه في: ٣٩٩٦، ٥٠٠٣، ٥٠٠٤]

قوله (باب مناقب زيد بن ثابت) أي ابن الضحاك بن زيد بن لوذان، من بني مالك بن النجار، كاتب الوحي وأحد فقهاء الصحابة. مات سنة خمس وأربعين

قوله (جمع القرآن) أي استظهره حفظا.

١٨ - باب مَنَاقِب أبي طلحة رضيَ الله عنه

٣٨١١ - عن أنسٍ رضي الله عنه قال «لما كان يومُ أُحُدٍ انهزمَ الناسُ عن النبيِّ ﷺ، وأبو طَلحةَ بينَ يدَيِ النبيِّ ﷺ مُجوِّبٌ به عليه بحَجَفَة له، وكان أبو طلحةَ رجُلاً رامياً شديدَ القدِّ يَكسِرُ يومَئذٍ قوسَين أو ثلاثا، وكان الرجُلُ يَمرُّ معَهُ الجُعْبةُ من النَّبلِ، فيقول: انثرها لأبي طلحةَ، فأشرَفَ النبيُّ ﷺ يَنظرُ إلى القوم، فيقولُ أبو طلحةَ: يا نبيَّ الله، بأبي أنت وأمي لا تُشرِفْ يُصيبُك سهم من سِهامِ القوم، نَحري دونَ نحرِك ولقد رأيتُ عائشةَ بنتَ أبي بكرٍ وأمَّ سُلَيم وإنهما لمشمِّرتانِ أرَى خَدَمَ سوقِهما تُنقِزانِ القِرَبَ على مُتونِهما، تُفرِغانِهِ في أفواهِ القوم، ثمَّ تَرجعانِ فتملآنِها، ثمَّ تجيئانِ فتُفرِغانِهِ في أفواهِ القوم. ولقد وَقعَ السيفُ من يدِ أبي طلحةَ إما مرَّتين وإما ثلاثا».

قوله (باب مناقب أبي طلحة) هو زيد بن سهل بن الأسود بن حرام الأنصاري الخزرجي النجاري، هو زوج أم سليم والدة أنس وقد تقدم بيان وفاته وتاريخها في الجهاد .

قوله (مُجوِّب) أي مترس عليه يقيه بها .

وسيأتي بقية ما يتعلق بهذا الحديث في المغازي[1] إن شاء الله تعالى .

١٩ - باب مَناقبِ عبدِ الله بن سَلامٍ رضيَ الله عنه

٣٨١٢ - عن عامرِ بن سعدِ بن أبي وقاصٍ عن أبيه قال: «ما سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول لأحدٍ يَمشي عَلَى الأرضِ : إنهُ من أهلِ الجنةِ، إلاَّ لعبدِ الله بن سَلام. قال: وفيه نزَلت هذه الآية {وشَهِدَ شاهِدٌ من بني إسرائيل عَلى مثلِه} الآية. قال: لا أدري قال مالكٌ الآيةَ أو في الحديث».

٣٨١٣ - عن قيسِ بن عُبادٍ قال: «كنتُ جالساً في مسجِد المدينة، فدخَلَ رجلٌ على وجْهِهِ أثرُ الخشوعِ، فقالوا: هذا رجلٌ من أهل الجنةِ، فصلَّى ركعتَين تَجوَّزَ فيهما، ثمَّ خَرج وتبِعتُه فقلتُ : إنكَ حينَ دخلت المسجد قالوا: هذا رجلٌ من أهل الجنة، قال: والله ما ينبغي لأحدٍ أن يقولَ مالا يَعلم. وسأحدِّثك لمَ ذاك . رأيتُ رُؤيا على عهدِ النبيِّ ﷺ، فقَصَصْتُها عليه، ورأيتُ كأني في رَوضةٍ -ذكرَ مِن سَعَتِها وخُضرَتِها- وسْطَها عمودٌ من حديدٍ أسفلهُ في الأرض وأعلاهُ في السماءِ، في أعلاهُ عُروةٌ، فقيل لي: ارقَهْ . قلتُ : لا أستَطيعُ . فأتاني مِنصَفٌ فرَفعَ ثيابي من خلفي فرَقيتُ حتى كنتُ في أعلاها، فأخذتُ في العُروةِ، فقيلَ له استمسِكْ . فاستيقَظْتُ وإنها لفي يدي. فقَصصْتُها على النبيِّ ﷺ فقال: تلك الرَّوضةُ الإسلام، وذلكَ العمودُ عمودُ الإسلام، وتلك العُروةُ عُروةُ الوثقى، فأنت على

---

(١) كتاب المغازي باب / ١٨ ح ٤٠٦٤ - ٣ / ٢٩٥

الإسلامِ حتى تموتَ . وذلكَ الرجلُ عبدُ اللهِ بن سَلام » وعن قيس بن عُباد عن ابن سَلام قال: «وصَيِفٌ» بدلَ «مِنصَف»

[الحديث ٣٨١٣ - طرفاه في: ٧٠١٠، ٧٠١٤]

٣٨١٤ ـ عن سعيدِ بن أبي بُردةَ عن أبيهِ قال: «أتيتُ المدينةَ فلقيتُ عبدَ الله بن سلام رضيَ اللهُ عنه فقال: ألا تجيء فأطعِمكَ سَويقاً وتمراً وتدخلُ في بيت؟ ثم قال: إنكَ في أرضٍ الرِّبا بها فاش، إذا كان لكَ على رجل حقٌ فأهدَى إليكَ حمل تِبن أو حملَ شعيرٍ أو حملَ قَتٍّ فإنه رِبا» [الحديث ٣٨١٤ - طرفه في: ٧٣٤٢]

قوله (باب مناقب عبد الله بن سلام) بتخفيف اللام أي ابن الحارث من بني قينقاع، وهم من ذرية يوسف الصديق، وكان اسم عبد الله بن سلام في الجاهلية الحصين فسماه النبي ﷺ عبدالله أخرجه ابن ماجه، وكان من حلفاء الخزرج من الأنصار، أسلم أول ما دخل النبي ﷺ المدينة (وسيأتي شرح ذلك في أوائل الهجرة[1])، ومات عبد الله بن سلام سنة ثلاث وأربعين.

قوله (ما سمعت الخ) استشكل بأنه ﷺ قد قال لجماعة إنهم من أهل الجنة غير عبد الله بن سلام، ويبعد أن لا يطلع سعد على ذلك. وأجيب بأنه كره تزكية نفسه لأنه أحد العشرة المبشرة بذلك، وتعقب بأنه لا يستلزم ذلك أن ينفى سماعه مثل ذلك في حق غيره، ويظهر لي في الجواب أنه قال ذلك بعد موت المبشرين، لأن عبد الله بن سلام عاش بعدهم ولم يتأخر معه من العشرة غير سعد وسعيد، ويؤخذ هذا من قوله «يمشي على الأرض» ووقع في رواية إسحق بن الطباع عن مالك عند الدارقطني «ماسمعت النبي ﷺ يقول لحي يمشي إنه من أهل الجنة» الحديث، وقد أخرج ابن حبان من طريق مصعب بن سعد عن أبيه سبب هذا الحديث بلفظ «سمعت النبي ﷺ يقول: يدخل عليكم رجل من أهل الجنة، فدخل عبد الله بن سلام».

قوله (فأتاني منصف) هو الخادم

قوله (إنك بأرض) يعني أرض العراق (الربا بها فاش) أي شائع .

قوله (حمل قَتّ) وهو علف الدواب.

قوله (فإنه ربا) يحتمل أن يكون ذلك رأي عبد الله بن سلام، وإلاّ فالفقهاء على أنه إنما يكون ربا إذا شرطه، نعم الورع تركه.

٢٠ ـ باب تزويج النبي ﷺ خديجةَ وفضلِها رضيَ اللّه عنها

٣٨١٥ ـ عن عليٍّ بن أبي طالب رضيَ اللّه عنه عنِ النبيِّ ﷺ قال: «خَيرُ نسائها مريمُ،

(١) كتاب مناقب الأنصار باب / ٥١ ح ٣٩٣٨ - ٣ / ٢٥٤

وخير نسائها خَديجة».

٣٨١٦ ـ عن عائشةَ رضيَ اللّه عنها قالت: ما غِرْتُ على امرأةٍ للنبيِّ ﷺ ماغِرتُ على خَديجةَ، هَلَكَتْ قبلَ أن يَتزَوَّجَني، لما كنتُ أسمعه يَذكرُها، وأمَرَه اللّه أن يَبشِّرَها ببيتٍ من قَصَب. وإنْ كان لَيذبحُ الشاةَ فَيهدِي في خَلائِلها منها مايَسَعُهُنَّ»

[الحديث ٣٨١٦ - أطرافه في: ٣٨١٧، ٣٨١٨، ٥٢٢٩، ٦٠٠٤، ٧٤٨٤]

٣٨١٧ ـ عن عائشة رضي الله عنها قالت: «ماغِرتُ على امرأةٍ ما غِرتُ على خَديجَة من كثرةِ ذِكرِ رسول الله ﷺ إياها. قالت: وتزَوَّجَني بعدَها بثلاثِ سنينَ، وأمَرَهُ ربُّهُ عزَّ وجلَّ -أو جِبريلُ عليهِ السلامُ- أن يُبشِّرَها ببيتٍ في الجنةِ من قَصَب».

٣٨١٨ ـ عن عائشةَ رضيَ اللّه عنها قالت: «ماغِرتُ على أحَدٍ من نساءِ النبيِّ ﷺ ماغرتُ على خدِيجةَ وما رأيتُها، ولكنْ كان النبيُّ ﷺ يُكثِرُ ذكرَها، ورُبما ذبحَ الشاةَ ثمَّ يُقَطِّعُها أعضاءً ثمَّ يَبعثُها في صَدائقِ خديجةَ، فَرُبَّما قلتُ له: كأنه لم يكن في الدنيا امرأةٌ إلاّ خديجةُ ؟ فيقول: إنها كانت وكانت، وكان لي منها ولَدٌ ».

٣٨١٩ ـ عن إسماعيلَ قال: قلتُ لعبدِ اللّه بن أبي أوفى رضيَ اللّه عنهما بَشَّرَ النبيُّ ﷺ خديجَةَ؟ قال: نعم، ببيتٍ من قَصَب، لا صَخَب فيهِ ولا نصَب».

٣٨٢٠ ـ عن أبي هريرة رضيَ اللّه عنه قال: «أتى جبريلُ النبيَّ ﷺ فقال: يا رسولَ اللّه، هذهِ خديجة قد أتَتْ مَعها إناءٌ فيه إدامٌ أو طعام أو شراب، فإذا هيَ أتَتْكَ فاقرأْ عليها السلامَ من ربِّها ومنّي، وبشِّرْها ببيتٍ في الجنةِ من قَصَب، لا صَخَبَ فيه ولا نَصَب».

[الحديث ٣٨٢٠طرفه في:٧٤٩٧]

٣٨٢١ ـ عن عائشةَ رضيَ اللّه عنها قالت: «استأذَنَتْ هالةُ بنتُ خُوَيلد -أختُ خديجةَ - على رسولِ اللّه ﷺ، فعَرَفَ استِئذانَ خديجةَ، فارتاعَ لذلك فقال: اللهمَّ هالةَ . قالت: فغِرتُ فقلت: ما تذكُر من عجوزٍ من عجائزِ قريش حمراءِ الشِّدقَين هلَكَت في الدهر، قد أبدَلَكَ اللّه خيراً منها».

قوله (خديجة) هي أول من تزوجها ﷺ، وهي بنت خويلد ابن أسد بن عبد العزى بن قصي، تجتمع مع النبي ﷺ في قصي، وهي من أقرب نسائه إليه في النسب؛ ولم يتزوج من ذرية قصي غيرها إلا أم حبيبة، وتزوجها سنة خمس وعشرين من مولده في قول الجمهور، زوجه إياها أبوها خويلد، وكانت قبله عند أبي هالة بن النباش بن زرارة التميمي حليف بني عبد الدار، وكان النبي ﷺ قبل أن يتزوج خديجة قد سافر في مالها مقارضا إلى الشام، فرأى منه ميسرة غلامها ما رغبها في تزوجه، قال الزبير وكانت خديحة تدعى في الجاهلية

الطاهرة، وماتت على الصحيح بعد المبعث بعشر سنين في شهر رمضان، فأقامت معه ﷺ خمسا وعشرين سنة على الصحيح، وقد تقدم في أبواب بدء الوحي بيان تصديقها للنبي ﷺ في أول وهلة ومن ثباتها في الأمر ما يدل على قوة يقينها ووفور عقلها وصحة عزمها، لا جرم كانت أفضل نسائه على الراجح، وقد تقدم في ذكر مريم من أحاديث الأنبياء بيان شيء من هذا .

قوله (خير نسائها مريم وخير نسائها خديجة) الذي يظهر لي أن قوله «خير نسائها» خبر مقدم والضمير لمريم فكأنه قال مريم خير نسائها أي نساء زمانها، وكذا في خديجة. وقد جزم كثير من الشراح أن المراد نساء زمانها.

وقد أخرج النسائي بإسناد صحيح وأخرجه الحاكم من حديث ابن عباس مرفوعا «أفضل نساء أهل الجنة خديجة وفاطمة ومريم وآسية» وهذا نص صريح لا يحتمل التأويل.

قوله (ما غرت على امرأة للنبي ﷺ) فيه ثبوت الغيرة وأنها غير مستنكر وقوعها من فاضلات النساء فضلا عمن دونهن، وأن عائشة كانت تغار من نساء النبي ﷺ لكن كانت تغار من خديجة أكثر، وقد بينت سبب ذلك وأنه لكثرة ذكر النبي ﷺ إياها.

قوله (في خلائلها) جمع خليلة أي صديقة.

قوله (ما يسعهن) أي ما يكفيهن.

قوله (إنها كانت وكانت) أي كانت فاضلة وكانت عاقلة ونحو ذلك.

قوله (وكان لي منها ولد) وكان جميع أولاد النبي ﷺ من خديجة، إلا إبراهيم فإنه كان من جاريته مارية، والمتفق عليه من أولاده منها القاسم وبه كان يكنى، مات صغيرا قبل المبعث أو بعده، وبناته الأربع: زينب ثم رقية ثم أم كلثوم ثم فاطمة، وقيل كانت أم كلثوم أصغر من فاطمة، وعبد الله ولد بعد المبعث، وماتت الذكور صغارا باتفاق، ومما كافأ النبي ﷺ به خديجة في الدنيا أنه لم يتزوج في حياتها غيرها، فروى مسلم من طريق الزهري عن عروة عن عائشة قالت: «لم يتزوج النبي ﷺ على خديجة حتى ماتت» وهذا مما لا اختلاف فيه بين أهل العلم بالأخبار، وفيه دليل على عظم قدرها عنده وعلى مزيد فضلها لأنها أغنته عن غيرها واختصت به بقدر ما اشترك فيه غيرها مرتين، لأنه ﷺ عاش بعد أن تزوجها ثمانية وثلاثين عاما انفردت خديجة منها بخمسة وعشرين عاما وهي نحو الثلثين من المجموع ومع طول المدة فصان قلبها فيها من الغيرة ومن نكد الضرائر الذي ربما حصل له هو منه ما يشوش عليه بذلك، وهي فضيلة لم يشاركها فيها غيرها. ومما اختصت به سبقها نساء هذه الأمة إلى الإيمان، فسنت ذلك لكل من آمنت بعدها، فيكون لها مثل أجرهن، لما ثبت

«أن من سن سنة حسنة» وقد شاركها في ذلك أبو بكر الصديق بالنسبة إلى الرجال، ولا يعرف قدر ما لكل منهما من الثواب بسبب ذلك إلا الله عز وجل. وقال النووي: في هذه الأحاديث دلالة لحسن العهد، وحفظ الود، ورعاية حرمة الصاحب والمعاشر حيا وميتا، وإكرام معارف ذلك الصاحب.

قوله (من قصب) قال ابن التين المراد به لؤلؤة مجوفة واسعة كالقصر المنيف.

قال السهيلي: لذكر البيت معنى لطيف لأنها كانت ربة بيت قبل المبعث ثم صارت ربة بيت في الإسلام منفردة به، فلم يكن على وجه الأرض في أول يوم بعث النبي ﷺ بيت إسلام إلا بيتها، وهي فضيلة ما شاركها فيها أيضا غيرها. قال: وجزاء الفعل يذكر غالبا بلفظه وإن كان أشرف منه، فلهذا جاء في الحديث بلفظ البيت دون لفظ القصر انتهى. وفي ذكر البيت معنى آخر، لأن مرجع أهل بيت النبي ﷺ إليها، لما ثبت في تفسير قوله تعالى: {إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت} قالت أم سلمة: «لما نزلت دعا النبي ﷺ فاطمة وعلي والحسن والحسين فجللهم بكساء فقال: اللهم هؤلاء أهل بيتي» الحديث أخرجه الترمذي وغيره، ومرجع أهل البيت هؤلاء إلى خديجة، لأن الحسنين من فاطمة وفاطمة بنتها، وعلي نشأ في بيت خديجة وهو صغير ثم تزوج بنتها بعدها، فظهر رجوع أهل البيت النبوي إلى خديجة دون غيرها.

قوله (لا صخب فيه ولا نصب) الصخب: الصياح والمنازعة برفع الصوت، والنصب: التعب.

قوله (فاقرأ عليها السلام من ربها ومني) وللنسائي من حديث أنس قال: «قال جبريل: للنبي ﷺ إن الله يقرىء خديجة السلام» يعني فأخبرها «فقالت: إن الله هو السلام، وعلى جبريل السلام وعليك يارسول الله السلام ورحمة الله وبركاته».

قال العلماء في هذه القصة دليل على وفور فقهها، لأنها لم تقل « وعليه السلام» كما وقع لبعض الصحابة حيث كانوا يقولون في التشهد «السلام على الله فنهاهم النبي ﷺ وقال: «ان الله هو السلام، فقولوا التحيات لله» فعرفت خديجة لصحة فهمها أن الله لا يُرد عليه السلام كما يرد على المخلوقين، لأن السلام اسم من أسماء الله، وهو أيضا دعاء بالسلامة، وكلاها لا يصلح أن يرد به على الله فكأنها قالت: كيف أقول عليه السلام والسلام اسمه، ومنه يطلب، ومنه يحصل. فيستفاد منه أنه لا يليق بالله إلا الثناء عليه فجعلت مكان رد السلام عليه الثناء عليه، ثم غايرت بين ما يليق بالله وما يليق بغيره فقالت: «وعلى جبريل السلام» ثم قالت: «وعليك السلام» ويستفاد منه رد السلام على من

أرسل السلام وعلى من بلغه.

قوله (فعرف استئذان خديجة) أي صفته لشبه صوتها بصوت أختها فتذكر خديجة بذلك .وفي الحديث أن من أحب شيئا أحب محبوباته وما يشبهه وما يتعلق به.

قوله (حمراء الشدقين) الذي يتبادر أن المراد بالشدقين ما في باطن الفم فكنت بذلك عن سقوط أسنانها حتى لايبقى داخل فمها إلا اللحم الأحمر من اللثة وغيرها، وبهذا جزم النووي وغيره.

قوله (أبدلك الله خيرا منها) الواقع أنه صدر منه رد لهذه المقالة، ففي رواية أبي نجيح عن عائشة عند أحمد والطبراني في هذه القصة « قالت: عائشة فقلت أبدلك الله بكبيرة السن حديثة السن، فغضب حتى قلت: والذي بعثك بالحق لا أذكرها بعد هذا إلا بخير».

٢١ ـ باب ذكرُ جرير بن عبدِ اللهِ البَجَليِّ رضي الله عنه

٣٨٢٢ ـ عن جريرِ بن عبدِ الله رضيَ الله عنه قال : ما حجَبَني رسولُ الله ﷺ منذُ أسلمت، ولا رآني إلاَّ ضَحِك».

٣٨٢٣ ـ عن جريرِ بن عبدِ الله قال: «كان في الجاهليةِ بيتٌ يُقال لهُ ذو الخَلَصَة، وكان يُقال له الكعبةُ اليمانية أو الكعبة الشامية. فقال لي رسولُ الله ﷺ: هل أنتَ مُريحي مِن ذي الخَلصة؟ قال فنَفَرتُ إليهِ في خَمسينَ ومائة فارسٍ من أحْمَسَ، قال: فكسرناه، وقتلْنا مَن وَجَدْنا عندَه، فأتَيناهُ فأخبرناه، فدَعا لنا ولأحمسَ ».

قوله (باب ذكر جرير بن عبد الله البجلي) أي ابن جابر بن مالك من بني أنمار بن أراش، نسبوا إلى أمهم بجيلة، يكنى أبا عمرو على المشهور، واختلف في إسلامه والصحيح أنه في سنة الوفود سنة تسع وكان موت جرير سنة خمسين وقيل بعدها.

قوله (ما حجبني رسول الله ﷺ) ما منعني من الدخول إليه إذا كان في بيته فاستأذنت عليه.

قوله (ولا رآني إلا ضحك) في رواية الحميدي عن إسماعيل «إلا تبسم في وجهي» وروى أحمد وابن حبان من طريق المغيرة بن شبيل عن جرير قال: «لما دنوت من المدينة أنخت ثم لبست حلتي فدخلت، فرماني الناس بالحدق، فقلت: هل ذكرني رسول الله ﷺ؟ قالوا: نعم، ذكرك بأحسن ذكر فقال: يدخل عليكم رجل من خير ذي يمن، على وجهه مسحة ملك».

٢٢ ـ باب ذِكْرُ حذيفةَ بن اليمانِ العبْسِيِّ رضيَ الله عنه

٣٨٢٤ ـ عن عائشةَ رضيَ اللّه عنها قالت: «لما كان يوم أُحُد هُزِمَ المشركون هزيمةً بَيِّنة، فصاح إبليسُ : أيْ عبادَ اللهِ أُخْراكم، فرجَعَت أولاهُم على أخراهم، فاجتَلَدَتْ مع أخراهم.

فنظرَ حُذَيفةُ فاذا هو بأبيهِ، فنادَى : أيْ عبادَ اللهِ أبي، أبي. فقالت: فواللهِ ما احتَجَزوا حتى قتلوه. فقال حُذيفةُ: غفَرَ اللهُ لكم. قال أبي فوالله مازالَت في حُذَيفةَ منها بقيةُ خيرٍ حتى لقيَ اللهَ عزَّ وجلَّ».

قوله (باب ذكر حذيفة بن اليمان العبسي) بالموحدة، واسم اليمان حسل بمهملتين وكسر أوله وسكون ثانيه ثم لأم ابن جابر له ولأبيه وصحبة.

قوله (لما هزم)، وقوله «وأخراكم» أي اقبلوا أخراكم أو احذروا أخراكم أو انصروا أخراكم.

قوله (احتجزوا) أي انفصلوا من القتال وامتنع بعضهم من بعض وسيأتي بقية شرح هذه القصة في كتاب المغازي، وقوله (مازالت في حذيفة منها) أي من هذه الكلمة أي بسببها.

وقوله (بقية خير) يؤخذ منه أن فعل الخير تعود بركته على صاحبه في طول حياته.

٢٣ ـ بابُ ذكرُ هندَ بنتِ عُتبةَ رضي الله عنها

٣٨٢٥ ـ عن عائشةَ رضيَ اللهُ عنها قالت: «جاءت هَندُ بنتُ عُتبةَ فقالت: يارسولَ اللهِ، ما كان على ظهرِ الأرض من أهلِ خِباءٍ أحبُّ إليَّ أن يَذلُّوا من أهلِ خِبائك، ثمَّ ما أصبحَ اليومَ على ظهر الأرضِ أهلُ خباءٍ أحبُّ إليَّ أن يَعزُّوا من أهلِ خِبائك. قال: وأيضاً والذي نفسي بيدهِ قالت: يارسولَ اللهِ، إنَّ أبا سُفيانَ رجلٌ مِسِّيك، فهل عليَّ حَرج أن أطعِمَ منَ الذي له عِيالَنا؟ قال: لا أراهُ إلاّ بالمعروف».

قوله (باب ذكر هند بنت عتبة بن ربيعة[١]) أي ابن عبد شمس، وهي والدة معاوية، قتل أبوها ببدر (كما سيأتي في المغازي) وشهدت مع زوجها أبي سفيان أحدا، وحرضت على قتل حمزة عم النبي ﷺ لكونه قتل عمها شيبة وشرك في قتل أبيها عتبة فقتله وحشي بن حرب (كما سيأتي بيان ذلك في حديث وحشي) ثم أسلمت هند يوم الفتح وكانت من عقلاء النساء، وكانت قبل أبي سفيان عند الفاكه بن المغيرة المخزومي ثم طلقها في قصة جرت. فتزوجها أبو سفيان فأنتجت عنده، وهي القائلة للنبي ﷺ لما شرط على النساء المبايعة ولا يسرقن ولا يزنين «وهل تزني الحرة»؟ وماتت هند في خلافة عمر .

قوله (خباء) هي خيمة من وبر أو صوف، ثم أطلقت على البيت كيف ما كان.

قوله (قال وأيضا والذي نفسي بيده) قال ابن التين: فيه تصديق لها فيما ذكرته، كأنه رأى أن المعنى: وأنا أيضاً بالنسبة إليك مثل ذلك. وتعقب من جهة طرفي البغض والحب، فقد كان في المشركين من كان أشد أذى للنبي ﷺ من هند وأهلها، وكان في المسلمين بعد

(١) رواية الباب "ابن ربيعة" واليونينية توافق الشرح.

أن أسلمت من هو أحب إلى النبي ﷺ منها ومن أهلها فلا يمكن حمل الخبر على ظاهره. وقال غيره: المعنى بقوله «وأيضاً» ستزيدين في المحبة كلما تمكن الإيمان من قلبك وترجعين عن البغض المذكور حتى لا يبقى له أثر.

قوله (إن أبا سفيان رجل مِسِّيك) (سيأتي شرحه في كتاب النفقات[1] إن شاء الله تعالى) وفي الحديث دلالة على وفور عقل هند وحسن تأتيها في المخاطبة، ويؤخذ منه أن صاحب الحاجة يستحب له أن يقدم بين يدي نجواه اعتذارا إذا كان في نفس الذي يخاطبه عليه موجدة، وأن المعتذر يستحب له أن يقدم ما يتأكد به صدقه عند من يعتذر إليه، لأن هندا قدمت الإعتراف بذكر ما كانت عليه من البغض ليعلم صدقها فيما ادعته من المحبة، وقد كانت هند في منزلة أمهات نساء النبي ﷺ لأن أم حبيبة إحدي زوجاته بنت زوجها أبي سفيان.

٢٤ ـ باب حديثُ زيدِ بن عمرِو بن نُفَيل

٣٨٢٦ ـ عن عبد الله بن عمرَ رضيَ اللّه عنهما « أنَّ النبيَّ ﷺ لَقِيَ زيدَ بن عمرِو بن نُفَيلٍ بأسفل بَلْدَح قبلَ أن ينزلَ على النبيِّ ﷺ الوَحيُ، فقُدِّمَت الى النبيِّ ﷺ سُفرةٌ، فأبى أن يأكلَ منها. ثمَّ قال زيدٌ : إني لستُ آكلُ مما تذبَحون على أنصابِكم، ولا آكلُ إلاَّ ماذُكِرِ اسمُ اللّه عليه. وأنَّ زيدَ بن عمرٍو كانَ يعيبُ على قُريش ذبائحهم ويقول: الشاةُ خَلَقها اللّه، وأنزلَ لها من السماء الماء، وأنبتَ لها منَ الأرض، ثمَّ تذبحونها على غير اسم اللّه، إنكاراً لذلك وإعظاماً له».

[الحديث ٣٨٢٦ - طرفه في: ٥٤٩٩]

٣٨٢٧ ـ عن ابن عمرَ- أنَّ زيدَ بن عمرِو بن نُفَيلٍ خَرَجَ إلى الشام يسأل عنِ الدِّين ويَتْبَعُهُ، فلقِيَ عالماً منَ اليهود فسألهُ عن دينهم فقال: إني لعلِّيْ أن أدينَ دِينَكم فأخبِرني. فقال: لا تكونُ على دِينِنا حتى تأخُذَ بنصيبِكَ من غضبِ اللّه. قال زيدٌ : ما أفِرُّ إلاَّ من غَضَبِ اللّه، ولا أحْمِلُ من غَضبِ اللّه شيئاً أبدا وأنَّى أستطيعه؟ فهل تدُلُّني على غيرِه؟ قال: ما أعلمه إلاَّ أن يكونَ حَنيفاً. قال زيد: وما الحَنيفُ ؟ قال: دينُ إبراهيمَ ؛ لم يَكن يهوديًا ولا نصرانيًا ولا يَعْبُدُ إلاَّ اللّه. فخرجَ زيدٌ فلقِيَ عالماً من النصارى فذكر مثلَه فقال: لن تكونَ على دِيننا حتى تأخُذَ بنصيبِك من لعنةِ اللّه. قال: ما أفِرُّ إلاَّ من لعنةِ اللّه، ولا أحمِلُ من لعنةِ اللّه ولا من غضبِه شيئاً أبدا، وأنَّى أستطيع؟ فهل تدُلُّني على غيره؟ قال: ما أعلمه إلاَّ أن يكونَ حَنيفاً. قال: وم االحنيف؟ قال: دينُ إبراهيم، لم يكن

(١) كتاب النفقات باب / ٩ ح ٥٣٦٤ - ٤ / ١٩٦

يهوديًا ولا نصرانيًا ولا يَعبدُ إلاّ الله. فلما رأى زيدٌ قولهم في إبراهيم عليه السلام خرَجَ، فلما برزَ رفع يديهِ فقال: اللّهُمَّ إني أشهدُ أني على دين إبراهيم».

٣٨٢٨ ـ عن أسماءَ بنت أبي بكرٍ رضيَ الله عنهما قالت: «رأيتُ زيدَ بن عمرِو بن نُفَيل قائماً مُسنِداً ظهرَهُ إلى الكعبةِ يقول: يا مَعشَرَ قُريش، والله ما منكم على دين إبراهيمَ غيري. وكان يُحْيِيْ الموءُودَةَ، يقول للرجُل إذا أرادَ أن يَقتُل ابنَتهُ: لا تَقتُلْها، أنا أكفيكَ مُؤْنتها، فيأخذها فإذا ترعرَعت قال لأبيها. إن شئتَ دفعتُها إليك، وإن شئت كفيتُك مَؤُنَتَها.

(باب حديث زيد بن عمرو بن نفيل) هو ابن عم عمر بن الخطاب بن نفيل. وهو والد سعيد بن زيد أحد العشرة؛ وكان ممن طلب التوحيد وخلع الأوثان وجانب الشرك، لكنه مات قبل المبعث، وروى البزار والطبراني من حديث سعيد بن زيد قال: «خرج زيد بن عمرو وورقة ابن نوفل يطلبان الدين حتى أتيا الشام، فتنصر ورقة وامتنع زيد، فأتى الموصل فلقي راهباً فعرض عليه النصرانية فامتنع» وذكر الحديث نحو حديث ابن عمر الآتي في ترجمته وفيه «قال سعيد بن زيد فسألت أنا وعمر رسول الله ﷺ عن زيد فقال: غفر الله له ورحمه، فإنه مات على دين إبراهيم».

قوله (يسأل عن الدين) أي دين التوحيد.

قوله (وأنا استطيع) أي والحال أن لي قدرة على عدم حمل ذلك، وفي رواية بتشديد النون(١)بمعنى الاستبعاد، والمراد بغضب الله إرادة إيصال العقاب[1].

قوله (فلما برز) أي خارج أرضهم.

قوله (وكان يُحْيِيْ الموءودة) هو مجاز، والمراد بإحيائها إبقاؤها. وقد فسره في الحديث. ووقع في رواية ابن أبي الزناد «وكان يفتدي الموءودة أن تقتل»، وكان أهل الجاهلية يدفنون البنات وهن بالحياة، ويقال كان أصلها من الغيرة عليهن لما وقع لبعض العرب حيث سبى بنت آخر فاستفرشها، فأراد أبوها أن يفتديها منه فخيرها فاختارت الذي سباها، فحلف أبوها ليقتلن كل بنت تولد له، فتبع على ذلك. وقد شرحت ذلك مطولا في كتابي في «الأوائل». وأكثر من كان يفعل ذلك منهم من الإملاق كما قال الله تعالى: {ولا تقتلوا أولادكم من إملاق، نحن نرزقكم وإياهم} وقصة زيد هذه تدل على هذا المعنى الثاني، فيحتمل أن يكون كل واحد من الأمرين كان سببا.

---

(١) الصواب إثبات صفة الغضب لله تعالى على ما يليق بجلاله عزو جل، والقول في الصفات كالقول في الذات اثبات بلا تأويل وتنزيه بلا تعطيل "ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

٢٥ - باب بُنْيَانِ الْكَعْبَةِ

٣٨٢٩ - عن جابرِ بن عبدِ اللهِ رضيَ اللهُ عنهما قال: « لما بُنيَتِ الكعبة ذهبَ النبيُّ ﷺ وعبّاسٌ يَنقلانِ الحجارةَ، فقال عبّاسٌ للنبيِّ ﷺ: اجعَل إزارَكَ على رقَبتكَ يَقِكَ من الحجارة، فخرَّ إلى الأرض، وطَمَحتْ عَيناهُ إلى السماءِ، ثمَّ أفاقَ فقال: إزاري إزاري، فشدَّ عليه إزاره».

٣٨٣٠ - عن عمرو بنِ دينارٍ وعُبيد الله بن أبي يزيدَ قالا: لم يكنْ على عهدِ النبيِّ ﷺ حولَ البيتِ حائط، كانوا يصلّون حولَ البيت، حتى كان عمرُ فبنى حَولهُ حائطاً. قال عبيدُ الله: جَدرُهُ قصير، فبناهُ ابنُ الزُّبير.

قوله (باب بنيان الكعبة) أي على يد قريش في حياة النبي ﷺ قبل بعثته، وقد تقدم ما يتعلق ببناء إبراهيم عليه السلام قبل بناء قريش، وما يتعلق ببناء عبد الله بن الزبير في الإسلام، وذكر ابن إسحق وغيره أن قريشا لما بنت الكعبة كان عمر النبي ﷺ خمسا وعشرين سنة. وروى إسحق بن راهويه من طريق خالد بن عرعرة عن علي في قصة بناء إبراهيم البيت قال: «فمر عليه الدهر فانهدم، فبنته العمالقة، فمر عليه الدهر فانهدم فبنته جرهم، فمر عليه الدهر فانهدم فبنته قريش، ورسول الله ﷺ يومئذ شاب، فلما أرادوا أن يضعوا الحجر الأسود اختصموا فيه فقالوا: نحكم بيننا أول من يخرج من هذه السكة، فكان النبي ﷺ أول من خرج منها، فحكم بينهم أن يجعلوه في ثوب ثم يرفعه من كل قبيلة رجل».

٢٦ - باب أَيَّامُ الْجَاهِلِيَّةِ

٣٨٣١ - عن عائشةَ رضيَ اللهُ عنها قالت: «كان عاشوراءُ يوماً تَصومهُ قريشٌ في الجاهلية، وكان النبيُّ ﷺ يصومه، فلما قدمَ المدينةَ صامَهُ وأمرَ بصيامه، فلما نزلَ رمضانُ كانَ من شاءَ صامه، ومن شاء لا يَصومهُ ».

٣٨٣٢ - عن ابن عباسٍ رضيَ اللهُ عنهما قال: «كانوا يَرونَ أنَّ العمرةَ في أشهُر الحج منَ الفجور في الأرض، وكانوا يسمُّونَ المحرَّم صَفَراً ويقولون: إذا بَرَأَ الدَّبَرْ، وعَفا الأثرْ، حلَّت العمرةُ لمنِ اعتَمر، قال فقَدِمَ رسولُ اللهِ ﷺ وأصحابه رابعةً مُهلِّين بالحجِّ، وأمرهمُ النبيُّ ﷺ أن يَجعلوها عمرة، قالوا: يارسول الله، أيُّ الحِلّ؟ قال: الحِلُّ كله».

٣٨٣٣ - عن سعيد بن المسيَّبِ عن أبيه عن جَدِّه قال: «جاء سيلٌ في الجاهليةِ فكَسا ما بينَ الجبَلَين. قال سفيانُ ويقول: إنَّ هذا لحديثٌ لهُ شأن».

٣٨٣٤ - عن قيسِ بن أبي حازمٍ قال: «دخلَ أبو بكرٍ على امرأةٍ من أحمسَ يقال لها زينبُ، فرآها لا تكلَّمُ فقال مالها لا تَكلَّمُ؟ قالوا: حَجَّتْ مُصمتةً. قال لها: تَكلَّمي، فإنَّ

هذا لا يحلُّ، هذا من عَملِ الجاهلية. فتكلمتْ فقالت : مَن أنت ؟ قال : امرؤٌ منَ المهاجرين، قالت: أيُّ المهاجرين ؟ قال: من قريش. قالت: من أيِّ قريشٍ أنتَ؟ قال: إنكِ لَسئول، أنا أبو بكر. قالت: ما بقاؤنا على هذا الأمرِ الصالح الذي جاءَ اللهُ به بعدَ الجاهلية؟ قال: بقاؤكم عليه ما استقامتْ بكم أئمتُكم. قالت: وما الأئمة؟ قال: أما كان لقومك رءوسٌ وأشراف يأمرونهم فيُطيعونهم؟ فقالت: بلى. قال: فهم أولئكَ على الناس».

٣٨٣٥ ـ عن عائشةَ رضيَ الله عنها قالت: «أسلمتِ امرأةٌ سوداءُ لبعض العرب، وكان لها حِفْشٌ في المسجد، قالت فكانت تأتينا فتحدَّثُ عندَنا، فإذا فرَغَت من حديثها قالت:

ويومُ الوِشاحِ من تَعاجيب ربِّنا ألا إنهُ من بلدةِ الكفرِ نجّاني

فلمّا أكثرَتْ قالت لها عائشة: وما يومُ الوِشاح؟ قالت: خرَجَت جُوَيرِيةٌ لبعضِ أهلي وعليها وِشاحٌ من أدَم، فسقطَ منها، فانحطَّتْ عليهِ الحُدَيَّا وهي تحسبه لحماً، فأخذت. فاتَّهموني به، فعذَّبوني، حتى بلغَ من أمري أنهم طَلبوا في قُبُلي، فبيناهم حَولي وأنا في كَربي إذ أقبلَتِ الحُدَيَّا حتى وازَت برءُوسِنا، ثمَّ ألقَتْه فأخَذوهُ، فقلتُ لهم: هذا الذي اتَّهمتموني به وأنا منه بَريئة».

٣٨٣٦ ـ عن ابنِ عمرَ رضيَ الله عنهما عن النبيِّ ﷺ قال: «ألا مَن كان حالفاً فلا يَحلِفْ إلاّ بالله، فكانت قُرَيشُ تحلِفُ بآبائها فقال : لاتحلِفوا بآبائكم».

٣٨٣٧ ـ عن عبدِ الرحمنِ بنِ القاسمِ أن القاسمَ كان يَمشي بينَ يدَي الجنازةِ ولا يقومُ لها، ويخبرُ عن عائشةَ قالت : كان أهْلُ الجاهليةِ يقومون لها يقولون إذا رأوْها: كنتِ في أهلِكِ ما أنتِ مرَّتين».

٣٨٣٨ ـ عن عمرُو بن مَيمونٍ قال: «قال عمرُ رضيَ الله عنه: إنَّ المشركينَ كانوا لا يُفيضونَ مِن جمعٍ حتى تشرقَ الشمسُ على ثَبير، فخالَفَهُم النبيُّ ﷺ فأفاضَ قبلَ أن تَطلُعَ الشمس ».

٣٨٣٩ ـ عن عكرِمَةَ {وكأساً دِهاقاً} قال: مُلأى مُتَتابعةً».

٣٨٤٠ ـ قال: «وقال ابن عباس: سمعتُ أبي يقول في الجاهلية: اسقِنا كأساً دهاقا».

٣٨٤١ ـ عن أبي هريرة رضيَ الله عنه قال: قال النبيُّ ﷺ: «أصدق كلمةٍ قالها شاعرٌ كلمةُ لبيد: ألا كلُّ شيءٍ ما خلا الله باطل. وكاد أُميَّةُ بن أبي الصَّلْت أن يُسلمَ ».

[الحديث ٣٨٤١ - طرفاه في: ٦١٤٧، ٦٤٨٩]

٣٨٤٢ ـ عن عائشةَ رضَي الله عنها قالت: «كان لأبي بكرٍ غلامٌ يخرجُ له الخَراجَ، وكان أبو بكرٍ يأكلُ من خَراجِه، فجاء يوماً بشيءٍ فأكلَ منه أبو بكر، فقال له الغُلامُ : أتدري ما

هذا؟ فقال أبو بكرٍ وما هو؟ قال: كنتُ تكهَّنْتُ لإنسان في الجاهلية، وما أُحسِنُ الكهانة، إلا أني خَدَعتهُ فأعطاني بذلك، فهذا الذي أكلتَ منه، فأدخَلَ أبو بكرٍ يدَهُ فقاءَ كلَّ شيءٍ في بطنه».

٣٨٤٣ - عن ابن عمرَ رضيَ اللّه عنهما قال: «كان أهلُ الجاهلية يَتَبايعونَ لحومَ الجَزورِ إلى حَبَلِ الحبلة. قال: وحَبلُ الحَبَلةِ أن تُنتَج الناقةُ مافي بطنها، ثمَّ تَحْمِلَ الّتي نُتِجَت. فنهاهمُ النبيُّ ﷺ عن ذلك».

٣٨٤٤ - عن غيلانِ بنِ جَريرٍ «كنّا نأتي أنسَ بنَ مالكٍ فيحَدِّثنا عنِ الأنصار، وكان يقول لي: فعلَ قومُك كذا وكذا يوم كذا وكذا، وفعلَ قومُك كذا وكذا يومَ كذا وكذا».

قوله (باب أيام الجاهلية) أي مما كان بين المولد النبوي والمبعث، هذا هو المراد به هنا، ويطلق غالبا على ما قبل البعثة ومنه {يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية}

وقوله {ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى} ومنه أكثر أحاديث الباب.

قوله (فإن هذا لا يحل) يعني ترك الكلام. ووقع عند الإسماعيلي من وجه آخر عن أبي بكر الصديق أن المرأة قالت له «كان بيننا وبين قومك في الجاهلية شر، فحلفت إن الله عافانا من ذلك أن لا أكلم أحداً حتى أحج، فقال: إن الإسلام يهدم ذلك.

وقد استدل بقول أبي بكر هذا من قال بأن من حلف أن لا يتكلم استحب له أن يتكلم ولا كفارة عليه، لأن أبا بكر لم يأمرها بالكفارة، وقياسه أن من نذر أن لا يتكلم لم ينعقد نذره، لأن أبا بكر أطلق أن ذلك لا يحل وأنه من فعل الجاهلية وأن الإسلام هدم ذلك ولا يقول أبو بكر مثل هذا إلا عن توقيف فيكون في حكم المرفوع.

قوله (ما بقاؤنا على هذا الأمر الصالح) أي دين الإسلام وما اشتمل عليه من العدل واجتماع الكلمة ونصر المظلوم ووضع كل شيء في محله.

قوله (أئمتكم) أي لأن الناس على دين ملوكهم، فمن حاد من الإئمة عن الحال مال وأمال.

قوله (وكان لها حِفْش) هو البيت الضيق الصغير.

قوله (وازت) أي قابلت. وقد تقدم شرح هذه القصة في أبواب المساجد من كتاب الصلاة[١] ، ووجه دخولها هنا من جهة ما كان عليه أهل الجاهلية من الجفاء في الفعل والقول.

قوله (كان أهل الجاهلية يقومون لها) ظاهره أن عائشة لم يبلغها أمر الشارع بالقيام لها، فرأت أن ذلك من الأمور التي كانت في الجاهلية وقد جاء الإسلام بمخالفتهم، وقد قدمت في الجنائز[٢] بيان الاختلاف في المسألة وهل نسخ هذا الحكم أم لا؟ وعلى القول بأنه

(١) كتاب الصلاة باب / ٥٧ ح ٤٣٩ - ١ / ٢٨٧
(٢) كتاب الجنائز باب / ٤٨ ح ١٣١٠ - ١ / ٦٦٠

نسخ هل نسخ الوجوب وبقي الاستحباب أم لا؟ أو مطلق الجواز؟ واختار بعض الشافعية الأخير، وأكثر الشافعية على الكراهة، وادعى المحاملي فيه الاتفاق، وخالف المتولي فقال: يستحب، واختاره النووي وقال: هذا من جملة الأحكام التي استدركتها عائشة على الصحابة لكن كان جانبهم فيها أرجح.

قوله (أصدق كلمة قالها الشاعر) المراد بقول الشاعر ماعدا الله أي ماعداه وعدا صفاته الذاتيه والفعلية من رحمته وعذابه وغير ذلك، فلذلك ذكر الجنة والنار، أو المراد في البيت بالبطلان الفناء لا الفساد، فكل شيء سوى الله جائز عليه الفناء لذاته حتى الجنة والنار، وإنما يبقيان بإبقاء الله لهما وخلق الدوام لأهلهما، والحق على الحقيقة من لا يجوز عليه الزوال، ولعل هذا هو السر في إثبات الألف واللام في قوله «أنت الحق وقولك الحق ووعدك الحق» وحذفهما عند ذكر غيرهما والله اعلم.

قوله (يخرج له الخراج) أي يأتيه بما يكسبه، والخراج ما يقرره السيد على عبده من مال يحضره له من كسبه.

قوله (فأعطاني بذلك) أي عوض تكهني له، قال ابن التين: إنما استقاء أبو بكر تنزها لأن أمر الجاهلية وضع ولو كان في الإسلام لغرم مثل ما أكل أوقيمته ولم يكفه القيء، كذا قال، والذي يظهر أن أبا بكر إنما قاء لما ثبت عنده من النهي عن حلوان الكاهن، وحلوان الكاهن ما يأخذه على كهانته، والكاهن من يخبر بما سيكون عن غير دليل شرعي، وكان ذلك قد كثر في الجاهلية خصوصا قبل ظهور النبي ﷺ. الحديث الثاني عشر حديث ابن عمر في حبل الحبلة، وقد تقدم شرحه مستوفى في البيوع[١]، والغرض منه قوله «إنهم كانوا يتبايعون في الجاهلية».

٢٧ ـ باب القَسَامَةُ في الجَاهِلِية

٣٨٤٥ ـ عن ابن عباسٍ رضيَ اللّه عنهما قال: «إنّ أوّلَ قَسامةٍ كانت في الجاهلية لَفِينا بني هاشم : كان رجلٌ من بني هاشم استأجرَهُ رجُلٌ مِن قريشٍ من فَخذٍ أخرى، فانْطَلقَ معهُ في إبله، فمرَّ به رجُلٌ من بني هاشم قدِ انقطعَتْ عُروةُ جُوالِقهِ فقال: أغثني بِعقالٍ أشُدُّ به عُروةَ جُوالقي لا تَنفر الإبلُ، فأعطاهُ عقالاً فشدَّ به عروةَ جُوالقِه. فلما نَزَلوا عُقِلَتِ الإبلُ إلا بعيراً واحداً، فقال الذي استأجرهُ : ما شأنُ هذا البعير لم يُعقَلْ من بين الإبلِ؟ قال: ليس له عقال. قال: فأين عِقالهُ ؟ قال فحذَفَهُ بعصاً كان فيها أجله. فمرَّ به رجلٌ من أهلِ اليمن، فقال: أتشهدُ الموسم؟ قال: ما أشهدُ وربَّما شهدتهُ. قال: هل أنت مُبْلِغٌ عني رسالةً

(١) كتاب البيوع باب / ٦١ ح ٢١٤٣ - ٢ / ٢٥٩

مرةً منَ الدهر؟ قال: نعم. قال فكتب: إذا أنتَ شهدتَ الموسم فنادِ يا آل قريش، فاذا أجابوك فناديا آل بني هاشم، فان أجابوك فاسأل عن أبي طالب فأخبرْه أن فلاناً قَتَلَني في عقال. ومات المستأجَر. فلما قدمَ الذي استأجَرَه أتاهُ أبو طالب فقال: ما فعل صاحبُنا؟ قال: مرضَ فأحسنتُ القيامَ عليه، فوَليتُ دفْنَه. قال: قد كان أهلَ ذاك منك، فمكَث حيناً ثمَّ إن الرجُلَ الذي أوصى إليهِ أن يُبلغَ عنه وافى الموسمَ فقال: يا آل قريش، قالوا: هذهِ قريش. قال يابني هاشم، قالوا: هذهِ بنو هاشم. قال: أين أبو طالب؟ قالوا: هذا أبو طالب. قال: أمرَني فلان أن أبْلِغَك رسالةً أنَّ فلاناً قتله في عقال. فأتاهُ أبو طالب فقال له: اخترْ منّا إحدى ثلاث : إن شئت أن تؤدّي مائةً من الإبل فإنكَ قَتلتَ صاحبَنا، وإن شئتَ حلف خمسون من قومِك إنك لم تقتُلْه، وإن أبيت قتلناك به. فأتى قومهُ فقالوا نحلفُ، فأتته امرأة من بني هاشم كانت تحت رجلٍ منهم قد ولَدَت له فقالت: يا أبا طالبِ أحبُّ أن تُجيزَ ابني هذا برجُل من الخمسين ولا تُصْبِرُ يمينَهُ حيثُ تُصبَرُ الأيمان، ففعل. فأتاهُ رجلٌ منهم فقال: يا أبا طالب أردتَ خمسينَ رجلاً أن يَحلِفوا مكان مائةٍ منَ الإبل، يصيبُ كلَّ رجلٍ بَعيران، هذانِ بعيران فاقْبلهما مني ولا تصبرْ يَميني حيث تُصبَرُ الأيمان، فقبلهما، وجاء ثمانيةٌ وأربعون فحلفوا. قال ابنُ عبّاس: فوَ الذي نفسي بيدِه ما حال الحولُ ومن الثمانيةِ وأربعينَ عينٌ تَطرِف».

٣٨٤٦ - عن عائشةَ رضيَ اللّه عنها قالت: «كان يومُ بُعاث يوماً قدَّمهُ اللّه لرسولهِ ﷺ، فقَدِم رسول اللّه ﷺ وقدِ افترقَ ملأهم، وقُتِلت سَرَواتهم وجُرِّحوا، قدَّمَه اللّه لرسولهِ ﷺ في دخولهم في الإسلام».

٣٨٤٧ - عن ابنِ عبّاسٍ رضيَ اللّه عنهما قال: «ليسَ السعيُ ببطنِ الوادي بينَ الصَّفا والمروةِ سُنّة، إنما كان أهلُ الجاهليةِ يَسعَونها ويقولون لا نُجيزُ البَطحاءَ إلاّ شداً».

٣٨٤٨ - عن ابنِ عبّاسٍ رضيَ اللّه عنهما قال: «يا أيُّها الناس، اسمعوا مني ما أقول لكم، وأسمعوني ما تقولون ولا تذهبوا فتقولوا: قال ابنُ عباس، قال ابن عباس. من طاف بالبيت فلْيطفْ من وراء الحِجرْ، ولا تقولوا الحَطيم، فإنَّ الرجُل في الجاهلية كان يحلِفُ فيلقي سوطَهُ أو نعلَهُ أو قوسهُ».

٣٨٤٩ - عن عمرِو بن مَيمونٍ قال: «رأيتُ في الجاهليةِ قِردةً اجتمعَ عليها قِرَدةٌ قد زَنَت فرَجموها، فرَجمتها معهم ».

٣٨٥٠ - عن ابنِ عباسٍ رضيَ اللّه عنهما قال «خِلالٌ من خِلالِ الجاهلية: الطعنُ في الأنساب، والنِّياحة -ونسيَ الثالثةَ- قال سفيانُ: ويقولون إنها الاستِسقاءُ بالأنواء».

قوله (إن أول قسامة) اليمين، وهي في عرف الشرع حلف معين عند التهمة بالقتل على الإثبات أو النفي. وقيل: هي مأخوذة من قسمة الأيمان على الحالفين.

وسيأتي بيان الاختلاف في حكمها في كتاب الديات[١] إن شاء الله تعالى.

قوله (كان رجل من بني هاشم) هو عمرو بن علقمة بن المطلب بن عبد مناف.

فكأنه نسب هذه الرواية إلى بني هاشم مجازا لما كان بين بني هاشم وبني المطلب من المودة والمؤاخاة والمناصرة.

قوله (فمر به) أي بالأجير.

قوله (عروة جوالقه) الوعاء من جلود وثياب، والعقال الحبل.

قوله (كان فيها أجله) أي أصاب مقتله. وقوله «فمات» أي أشرف على الموت، بدليل.

قوله «فمر به رجل من أهل اليمن قبل أن يقضي (١).

قوله (أتشهد الموسم) أي موسم الحج.

قوله (قتلني في عقال) أي بسبب عقال.

قوله (فأتته امرأة من بني هاشم) هي زينب بنت علقمة أخت المقتول.

قوله (حيث تصبر الايمان) أي بين الركن والمقام.

قوله (فو الذي نفسي بيده) قال ابن التين: كأن الذي أخبر ابن عباس بذلك جماعة اطمأنت نفسه إلى صدقهم حتى وسعه أن يحلف على ذلك. قلت: يعني أنه كان حين القسامة لم يولد، ويحتمل أن يكون الذي أخبره بذلك هو النبي ﷺ، وهو أمكن في دخول هذا الحديث الصحيح.

قوله (فما حال الحول) أي من يوم حلفوا.

قوله (يوم بعاث) تقدم شرحه في أول مناقب الأنصار[٢] وأنه كان قبل البعث على الراجح.

قوله (يا أيها الناس اسمعوا مني ما أقول لكم وأسمعوني) أي أعيدوا عليّ قولي لأعرف أنكم حفظتموه، كأنه خشي أن لا يفهموا ما أراد فيخبروا عنه بخلاف ما قال، فكأنه قال: اسمعوا مني سماع ضبط وإتقان، ولا تقولوا «قال» من قبل أن تضبطوا.

قوله (رأيت في الجاهلية قردة) وقد ساق الإسماعيلي هذه القصة من وجه آخر مطولة من طريق عيسى بن حطان عن عمرو بن ميمون قال: «كنت في اليمن في غنم لأهلي وأنا على شرف، فجاء قرد مع قردة فتوسد يدها، فجاء قرد أصغر منه فغمزها، فسلت يدها من تحت

---

(١) كتاب الديات باب / ٢٢ ح ٦٨٩٩ - ٥ / ٢٥٨
(٢) كتاب مناقب الأنصار باب / ١ ح ٣٧٧٧ - ٣ / ١٧٩

رأس القرد الأول سلا رفيقا وتبعته، فوقع عليها وأنا أنظر، ثم رجعت فجعلت تدخل يدها تحت خد الاول برفق، فاستيقظ فزعا، فشمها فصاح، فاجتمعت القرود، فجعل يصيح ويومئ إليها بيده، فذهب القرود يمنة ويسرة، فجاءوا بذلك القرد أعرفه، فحفروا لهما حفرةً فرجموهما، فلقد رأيت الرجم في غير بني آدم» قال ابن التين: لعلَّ هؤلاء كانوا من نسل الذين مسخوا فبقى فيهم ذلك الحكم. ثم قال: أن الممسوخ لا ينسل. قلت: وهذا هو المعتمد، لما ثبت في صحيح مسلم «أن الممسوخ لا نسل له» وعنده من حديث ابن مسعود مرفوعا «إن الله لم يهلك قوما فيجعل لهم نسلا».

قوله (خلال من خلال الجاهلية) أي من خصال.

قوله (الطعن في الأنساب) أي القدح من بعض الناس في نسب بعض بغير علم.

قوله (والنياحة) أي على الميت.

قوله (ويقولون إنها الاستسقاء بالنواء) أي يقولون: مطرنا بنوء كذا، وقد تقدم شرح ذلك في كتاب الاستسقاء.

٢٨ ـ باب مَبْعَثِ النبيِّ ﷺ

محمدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ عبد المطَّلب بنِ هاشم بنِ عبدِ مناف بن قُصَيٍّ بنِ كِلاب بن مُرَّةَ بن كعبِ بنِ لُؤَيِّ بن غَالِب بن فِهْر بن مالك بن النَّضرِ بن كِنانة بن خُزَيْمة بن مُدْرِكة بن إلياس بن مَضَر بن نِزارِ بن مَعَدِّ بن عدنان .

٣٨٥١ ـ عن ابن عبَّاسٍ رضيَ اللهُ عنهما قال: «أُنزلَ على رسولِ اللهِ ﷺ وهوَ ابن أربعين، فمكثَ بمكةَ ثلاثَ عشرةَ سنةً ؛ ثمَّ أُمِرَ بالهِجرةِ، فهاجرَ إلى المدينة، فمكثَ بها عشرَ سنين، ثمّ توفِّيَ ﷺ».

[الحديث ٣٨٥١ - اطرافه في: ٣٩٠٢، ٣٩٠٣، ٤٤٦٥، ٤٩٧٩]

قوله (باب مبعث النبيِّ ﷺ) المبعث من البعث، وأصله الإثارة، ويطلق على التوجيه في أمر ما.

قوله (محمد) ذكر البيهقي في «الدلائل» بإسناد مرسل «أن عبد المطلب لما ولد النبي ﷺ عمل له مأدبة، فلما أكلوا سألوا ما سميته؟ قال محمدا، قالوا فما رغبت به عن أسماء أهل بيته؟ قال: أردت أن يحمده الله في السماء وخلقه في الأرض».

قوله (ابن عبد الله) لم يختلف في اسمه، واختلف متى مات؟ فقيل مات قبل أن يولد النبي ﷺ، وقيل بعد أن ولد، والأول أثبت. واختلف في مقدار عمره ﷺ لما مات أبوه، والراجح أنه دون السنة .

قوله (بن عبد المطلب) اسمه شيبة الحمد عند الجمهور.

قوله (أنزل على رسول الله ﷺ وهو ابن أربعين) هذا هو المقصود من هذا الحديث في هذا الباب، وهو متفق عليه، وقد مضى في صفة النبي ﷺ حديث أنس «أنه ﷺ بعث على رأس أربعين» وتقدم في بدء الوحي أنه أنزل عليه في شهر رمضان، فعلى الصحيح المشهور أن مولده في شهر ربيع الأول يكون حين أنزل عليه ابن أربعين سنة وستة أشهر.

٣٩ ـ باب ما لَقِيَ النبيُّ ﷺ وأصحابُه منَ المشركين بمكة

٣٨٥٢ ـ عن خبّابٍ قال: أتيتُ النبيَّ ﷺ وهو مُتوسِّدٌ بُردةً وهو في ظل الكعبة -وقد لقينا منَ المشركينَ شِدَّةً- فقلت: يارسولَ الله، ألا تَدْعوا الله لنا؟ فقعَد وهو محمرٌّ وجهه فقال: لقد كان من قَبْلكم ليُمشَط بمِشاطِ الحديد، ما دُون عظامهِ من لحمٍ أو عَصَب، ما يَصرفهُ ذلك عن دِينهِ، ويوضَع المِيشَارُ على مفرِق رأسهِ فيُشَقُّ باثنين، ما يصرفه ذلكَ عن دِينه. وَلَيُتِمَّنَّ اللّه هذا الأمرَ حتى يَسيرَ الراكبُ مِن صنَعاءَ إلى حَضر مَوتَ ما يَخافُ إلاَّ اللّه» زاد بيانٌ «والذِّئبُ عَلَى غَنَمِه».

٣٨٥٣ ـ عن عبدِ اللهِ رضيَ اللّهُ عنه قال: «قرأ النبيُّ ﷺ النجمَ فسجد، فما بقيَ أحدٌ إلاّ سجد، إلاّ رجلٌ رأيتُه أخذ كفّاً من حَصًى فرفعهُ، فسجد عليهِ وقال: هذا يكفيني. فلقد رأيتهُ بعدُ قُتلَ كافراً باللّه»

٣٨٥٤ ـ عن عبد الله رضيَ الله عنه قال: «بَينا النبُّي ﷺ ساجدٌ وحولَهُ ناسٌ من قريش جاء عُقْبةُ بن أبي مُعَيطٍ بَسلى جَزورٍ فقذَفَه على ظهرِ النبيِّ ﷺ، فلم يَرفَعْ رأسَه، فجاءت فاطمةُ عليها السلامُ فأخذَتْهُ من ظهرهِ ودَعتْ على من صنع فقال النبيُّ ﷺ: اللّهمَّ عليكَ الملأَ من قريش: أبا جهلِ بن هشامٍ وعتبةَ بن ربيعةَ وشَيبةَ بن ربيعة وأميةَ بن خَلَفٍ -أو أبيِّ بن خلف، شعبةُ الشاكُّ- فرأيتهم قُتِلوا يوم بدرٍ، فألقوا في بئرٍ، غير أميةَ بن خَلَف أو أبيِّ تَقَطَّعتْ أوصاله فلم يُلقَ في البئر».

٣٨٥٥ ـ عن سعيدِ بن جُبيرٍ - قال: «أمرني عبدُ الرحمن بن أبْزَي قال: سلِ ابن عباسٍ عن هاتينِ الآيتينِ ما أمرُهما؟ (الأنعام ١٥١، الإسراء ٣٣): {ولا تقتلوا النفسَ التي حرَّمَ اللّه}، /٩٣ النساء/: {ومن يَقتُل مؤمناً متعمِّدًا} فسألتُ ابن عباس، فقال: لما أنزلت التي في الفرقان [٦٨] قال مشركو أهل مكةَ: فقد قتلنا النفس التي حرَّمَ الله، ودَعونا مع الله إلها آخر، وقد أتينا الفَواحِش، فأنزل الله [الفرقان ٧٠] {إلا مَن تاب وآمن} الآية، فهَذه لأولئك، وأما التي في النساء [٩٣] الرجلُ إذا عرف الإسلامَ وشرائعَه ثمَّ قَتلَ فجزاؤهُ جهنَّم، فذكرته لمجاهد فقال: إلا من نَدِم».

[الحديث ٣٨٥٥ - أطرافه في: ٤٥٩٠، ٤٧٦٢، ٤٧٦٣، ٤٧٦٤، ٤٧٦٥، ٤٧٦٦]

٣٨٥٦ - عن عُروة بن الزُّبَير قال سألتُ ابنَ عمرِو بن العاص: أخبِرْني بأشدِّ شيءٍ صنعَه المشركون بالنبيِّ ﷺ. قال: بينا النبيُّ ﷺ يصلِّي في حجر الكعبة، إذ أقبل عقبة بن أبي مُعَيطٍ فوضعَ ثوبَهُ في عنقهِ فخَنَقَهُ خَنقاً شديداً، فأقبلَ أبو بكرٍ حتى أخذَ بمنكبِه ودفعه عن النبيِّ ﷺ قالَ {أتقتُلونَ رجُلاً أن يقولَ ربِّيَ اللَّه} الآية /٢٨ غافر/.

قوله (فقعد وهو محمر وجهه) أي من أثر النوم، ويحتمل أن يكون من الغضب وبه جزم ابن التين.

قوله (ويوضع الميشار) تقول وشرت الخشبة وأشرتها، ويقال فيه بالنون وهي أشهر في الاستعمال.

قال ابن التين: كان هؤلاء الذي فعل بهم ذلك أنبياء أو أتباعهم، قال: وكان في الصحابة من لو فعل به ذلك لصبر، إلى أن قال: وما زال خلق من الصحابة وأتباعهم فمن بعدهم يؤذون في الله، ولو أخذوا بالرخصة لساغ لهم.

قوله (وليتمن الله هذا الأمر) المراد بالأمر الإسلام، الحديث الرابع حديث ابن عباس في توبة القاتل، وسيأتي شرحه في تفسير سورة النساء إن شاء الله تعالى، والغرض منه هنا الإشارة إلى أن صنع المشركين بالمسلمين من قتل وتعذيب وغير ذلك سقط عنهم بالإسلام.

قوله (وقال محمد بن عمرو عن أبي سلمة حدثني عمرو بن العاص)، وقد أخرج أبو يعلى والبزار بإسناد صحيح عن أنس قال: «لقد ضربوا رسول الله ﷺ مرة حتى غشي عليه، فقام أبو بكر فجعل ينادي: ويلكم أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله؟ فتركوه وأقبلوا على أبي بكر» وهذا من مراسيل الصحابة، وقد أخرجه أبو يعلى بإسناد حسن مطولا من حديث أسماء بنت أبي بكر أنهم «قالوا لها ما أشد ما رأيت المشركين بلغوا من رسول الله ﷺ»؟ فذكر نحو سياق ابن اسحق المتقدم قريبا وفيه« فأتى الصريخ إلى أبي بكر فقال: أدرك صاحبك، قالت: فخرج من عندنا وله غدائر أربع وهو يقول: ويلكم، أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله؟ فلهوا عنه، وأقبلوا إلى أبي بكر، فرجع إلينا أبو بكر فجعل لا يمس شيئاً من غدائره إلا رجع معه». ولقصة أبي بكر هذه شاهد من حديث علي أخرجه البزار من رواية محمد بن علي عن أبيه أنه خطب فقال: «من أشجع الناس؟ فقالوا: أنت. قال: أما إني ما بارزني أحد إلا أنصفت منه، ولكنه أبو بكر، لقد رأيت رسول الله ﷺ أخذته قريش فهذا يجؤه وهذا يتلقاه ويقولون له أنت تجعل الآلهة إلها واحدا، فو الله مادنا منا أحد إلا أبو بكر يضرب هذا ويدفع هذا ويقول: ويلكم أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله، ثم بكى علي ثم قال: أنشدكم الله

أمؤمن آل فرعون أفضل أم أبو بكر؟ فسكت القوم، فقال علي والله لساعة من أبي بكر خير منه، ذاك رجل يكتم إيمانه، وهذا يعلن بإيمانه»

٣٠ ـ باب إسلامِ أبي بكرِ الصدِّيق رضيَ اللّه عنه

٣٨٥٧ ـ عن عمار بن ياسرٍ قال: رأيت رسولَ الله ﷺ وَمَا معه إلا خمسةُ أعبُدٍ وامرأتانِ وأبو بكر».

قوله (باب إسلام أبي بكر الصديق رضي الله عنه) ذكر فيه حديث عمار، وقد تقدم شرحه.

وفيه دلالة على قدم إسلام أبي بكر اذا لم يذكر عمار أنه رأى مع النبي ﷺ من الرجال غيره، وقد اتفق الجمهور على أن أبا بكر أول من أسلم من الرجال، وذكر ابن اسحق أنه كان يتحقق أنه سيبعث، لما كان يسمعه ويرى من أدلة ذلك، فلما دعاه بادر إلى تصديقه من أول وهلة.

٣١ ـ باب إسلام سَعْدِ بْنِ أبي وقاصٍ رضيَ اللهُ عنه

٣٨٥٨ ـ عن سعيد بن المسيَّبِ قال سمعتُ أبا إسحاق سعدَ بن أبي وَقَّاصٍ قال: «ما أسلم أحدٌ إلا في اليوم الذي أسلمتُ فيه، ولقد مكثتُ سبعة أيامٍ وإنِّي لثُلثُ الإسلام».

قوله (باب إسلام سعد) ذكر فيه حديثه، وقد تقدم شرحه في مناقبه مستوفى، ومناسبته لما قبله، واجتماعهما في أن كلا منهما يقتضى سبق من ذكر فيه إلى الإسلام خاصة، لكنه محمول على ما اطلع عليه، وإلا فقد أسلم قبل إسلام بلال وسعد خديجة وسعد بن حارثة وعلي بن أبي طالب وغيرهم.

٣٢ ـ باب ذِكْرِ الجنِّ

وقولِ الله تعالى {قل أوحيَ إليَّ أنهُ استَمَعَ نفرٌ مِنَ الجنِّ}

٣٨٥٩ ـ عن مَعنِ بن عبدِ الرحمنِ قالَ سمعتُ أبي قال: «سألتُ مَسروقا: من آذنَ النبيَّ ﷺ بالجِنِّ ليلةَ استمعوا القرآنَ؟ فقال: حدَّثني أبوك -يعني عبدَ اللّه- أنه آذنَتْ بهم شجرة».

٣٨٦٠ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضيَ اللهُ عَنْهُ «أَنَّهُ كانَ يَحْملُ معَ النبيِّ ﷺ إداوَةً لِوَضوئه وحاجته. فبينما هوَ يَتبعهُ بها فقالَ: من هذا؟ فقال: أنَا أبو هريرة. فقالَ: ابغِني أحجاراً أستنِفض بها، ولا تأتِني بعظمٍ ولا برَوثةٍ. فأتَيته بأحجار أحمِلها في طرَفِ ثوبي حتى وَضعتُ إلى جَنبهِ، ثُمَّ انصرفت، حتى إذا فَرغ مَشيتُ معهُ فقلت: ما بال العظم والرَّوثة؟

قال: هُما من طَعامِ الجنّ، وإنه أتاني وَفدُ جنٍّ نَصيبينَ -ونِعمَ الجنُّ- فسألوني الزادَ، فدعَوتُ الله لهم أن لا يُمُرّوا بعظمٍ ولا برَوثةٍ إلا وَجَدوا عليها طُعماً».

قوله (باب ذكر الجن) تقدم الكلام على الجن في أوائل بدء الخلق بما يغني عن إعادته.

قوله (عن معن بن عبد الرحمن) أي ابن عبد الله بن مسعود.

قوله (من آذن) بالمد أي أعلم.

قوله (وإنه أتاني وفد جن نصيبين) ونصيبين بلدة مشهورة بالجزيرة.

٣٣ ـ باب إسْلام أبي ذَرٍّ الغفاريّ رضي اللّه عنه

٣٨٦١ ـ عَنِ ابنِ عباسٍ رضيَ اللّه عنهُمَا قالَ: «لمَّا بَلَغَ أبَاذر مَبعثُ النبيِّ ﷺ قال لأخيهِ: اركبْ إلى هذا الوادي فاعلمْ لي عِلمَ هذا الرجلِ الذي يَزعمُ أنهُ نبيٌّ يأتيهِ الخبَرُ من السَّماءِ، واسمَعْ من قولهِ ثمّ ائتِنِي، فانطلق الأخُ حتى قدمَه وسمعَ من قوله، ثمّ رجعَ إلى أبي ذَر فقال له: رأيته يأمُرُ بمكارم الأخلاق، وكلاماً ما هو بالشّعر، فقال: ما شفيتَني مما أردتُ. فتزَوّدَ وحملَ شَنّةً له فيها ماءٌ حتى قدمِ مكةَ، فأتى المسجدَ، فالتمسَ النبيَّ ﷺ ولا يَعرفه، وكرِهَ أن يَسألَ عنه» حتى أدركَهُ بعضُ الليل، فَرآهُ عليٌّ فعرَفَ أنه غريب، فلما رآه تَبِعَهُ، فلم يَسأل واحدٌ منهما صاحبَهُ عن شيءٍ حتى أصبحَ، ثُمّ احتملَ قربتَهُ وزادهُ إلى المسجد، وظلّ ذلكَ اليومَ ولا يَراهُ النبيُّ ﷺ حتى أمسى فعادَ إلى مضجَعهِ، فمرَّ بهِ عليٌّ فقالَ: أما نالَ لِلرَّجُلِ أن يَعلمَ منزِله؟ فأقامَهُ، فذهَبَ به معه، لا يَسألُ واحدٌ منهما صاحبه عن شيءٍ، حتى إذا كان يومُ الثالثِ فعاد عليٌّ على مثلِ ذلك، فأقامَ معه ثمّ قال: ألا تحدّثني مالذي أقدمَك؟ قال: إن أعطيتني عَهداً وميثاقاً لتُرشدَنّني فعلتُ. ففعَلَ، فأخبرَهُ، قَالَ: فَإِنَّهُ حَقٌّ، وَهُوَ رسولُ اللهِ ﷺ، فَإِذَا أصبحتَ فاتبَعْني، فَإِنِّي إن رَأيتُ شيئاً أخافُ عليك قمتُ كأني أريقُ الماءَ، فإن مَضَيتُ فاتبَعْني حتى تدخُلَ مَدْخَلي، ففعلَ، فانطلق يقفوهُ، حَتَّى دخل على النبيِّ ﷺ، ودخل معهُ فسمِعَ من قولهِ وأسلم مَكانَه. فَقال له النبيُّ ﷺ: ارجعْ إلى قَومِكَ فأخبِرْهم حتى يأتِيكَ أمري. قال: والذي نفسي بيده لأصرُخَنَّ بها بينَ ظهرانَيْهم. فخرجَ حتى أتى المسجدَ، فنادَى بأعلى صَوته: أشهدُ أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمداً رسولُ الله. ثمّ قام القومُ فضَرَبوهُ حتى أوجَعوهُ. وأتى العبّاسُ فأكبَّ عليه قال: وَيلَكم، ألستم تعلمونَ أنّه مِن غِفار، وأنَّ طريقَ تجارِكم إلى الشّام؟ فأنقذه منهم. ثُمّ عادَ منَ الغَدِ لمِثلِها فَضرَبوه وثارُوا إليه فأكبَّ العباسُ عليه».

قوله (باب إسلام أبي ذر الغفاري) هو جندب بن جنادة ابن سفيان بن عبيدة بن حرام بالمهملتين ابن غفار وغفار من بني كنانة.

قوله (وكره أن يسأل عنه) لأنه عرف أن قومه يؤذون من يقصده أو يؤذونه بسبب قصد من يقصده، أو لكراهتهم في ظهور أمره لا يدلون من يسأل عنه عليه، أو يمنعونه من الاجتماع به، أو يخدعونه حتى يرجع عنه.

قوله (فرآه علي بن أبي طالب) وهذا يدل على أن قصة أبي ذر وقعت بعد المبعث بأكثر من سنتين بحيث يتهيأ لعلي أن يستقل بمخاطبة الغريب ويضيفه، فان الأصح في سن علي حين المبعث كان عشر سنين وقيل أقل من ذلك، وهذا الخبر يقوي القول الصحيح في سنه.

قوله (أما نال للرجل) أي أما حان.

قوله (فانطلق يقفوه) أي يتبعه.

قوله (ارجع إلى قومك فأخبرهم حتى يأتيك أمري) في رواية أبي قتيبة «اكتم هذا الأمر، وارجع إلى قومك فأخبرهم، فإذا بلغك ظهورنا فأقبل» وفي رواية عبد الله بن الصامت «إنه قد وجهت لي أرض ذات نخل، فهل أنت مبلغ عني قومك عسى الله أن ينفعهم بك» فذكر قصة إسلام أخيه أنيس وأمه وأنهم توجهوا إلى قومهم غفار فأسلم نصفهم، الحديث.

قوله (لأصرخن بها) أي بكلمة التوحيد، والمراد أنه يرفع صوته جهارا بين المشركين، وكأنه فهم أن أمر النبي ﷺ له بالكتمان ليس على الإيجاب بل على سبيل الشفقة عليه، فأعلمه أن به قوة على ذلك، ولهذا أقره النبي ﷺ على ذلك، ويؤخذ منه جواز قول الحق عند من يخشى منه الأذية لمن قاله وإن كان السكوت جائزا. والتحقيق أن ذلك مختلف باختلاف الأحوال والمقاصد، وبحسب ذلك يترتب وجود الأجر وعدمه.

قوله (ثم قام القوم) في رواية أبي قتيبة «فقالوا قوموا إلى هذا الصابي» «فقاموا» وكانوا يسمون من أسلم صابيا لأنه من صبا يصبو إذا انتقل من شيء إلى شيء.

قوله (فضربوه حتى أوجعوه) في رواية أبي قتيبة «فضربت لأموت» أي ضربت ضربا لا يبالي من ضربني أن لو أموت منه.

قوله (فأقلعوا عني) أي كفوا.

قوله (فأكب العباس عليه) في رواية أبي قتيبة«فقال مثل مقالته بالأمس» وفي الحديث مايدل على حسن تأتي العباس وجودة فطنته حيث توصل إلى تخليصه منهم بتخويفهم من قومه أن يقاصوهم بأن يقطعوا طرق متجرهم، وكان عيشهم من التجارة، فلذلك بادروا إلى الكف عنه. وفي الحديث دلالة على تقدم إسلام أبي ذر، لكن الظاهر أن ذلك كان بعد المبعث بمدة طويلة لما فيه من الحكاية عن علي كما قدمنا.

٣٤ ـ باب إسلام سَعيدِ بنِ زيدٍ رضيَ اللهُ عَنْهُ

٣٨٦٢ ـ عن قيسٍ قال سمعت سعيدَ بن زيد بن عمرو بن نُفَيلٍ في مسجدِ الكوفة يقول: واللهِ لقد رأيتُني وإنَّ عُمرَ لَموثِقي على الإسلامِ قبلَ أن يُسلمَ عمر، ولو أنَّ أحداً أرفضَّ لِلّذي صَنَعتم بعثمانَ لكان مَحقوقاً أن يَرفَضَّ».

[الحديث ٣٨٦٢ - طرفاه في: ٣٨٦٧، ٦٩٤٢].

قوله (باب إسلام سعيد بن زيد) أي ابن عمرو بن نفيل، وأبوه تقدم ذكره وأنه ابن ابن عم عمر بن الخطاب.

قوله (لقد رأيتني) والمعنى رأيت نفسي (وان عمر لموثقي على الاسلام) اي ربطه بسبب إسلامه إهانة له وإلزاما بالرجوع عن الاسلام.

قوله (ولوأن أحدا ارفضّ) أي زال من مكانه

قوله (لكان) في الرواية الآتية «لكان محقوقا أن ينقض» وفي رواية الأسماعيلي «لكان حقيقا» أي واجبا تقول حق عليك أن تفعل كذا وأنت حقيق أن تفعله، وانما قال ذلك سعيد لعظم قتل عثمان، وهو مأخوذ من قوله تعالى {تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا، أن دعوا للرحمن ولد} قال ابن التين: قال سعيد: ذلك على سبيل التمثيل، وقال الداودي: معناه لو تحركت القبائل وطلبت بثار عثمان لكان أهلا لذلك، وهذا بعيد من التأويل.

٣٥ ـ باب إسلام عمرَ بن الخطَّابِ رضيَ اللّه عَنهُ

٣٨٦٣ ـ عن عبدالله بن مسعودٍ رضيَ الله عنه قالَ «مازلنا أعزَّةً منذ أسلمَ عمر».

٣٨٦٤ ـ عن عبدِ اللّهِ بنِ عمرَ عن أبيهِ قالَ: «بينما هو في الدارِ خائفاً إذ جاءَهُ العاصِ بنُ وائلٍ السَّهميُّ أبو عمرٍو عليه حلَّةُ حِبَرٍ وقميصٌ مكفوفٌ بحريرٍ - وَهُوَ من بني سَهم وهم حُلَفاؤنا في الجاهلية - فقال: ما بالُكَ؟ قال: زعمَ قومك أنَّهُمْ سيقتُلونني أن أسلمتُ. قالَ: لا سبيل إليكَ. بعدَ أن قالها أمِنتُ. فخرجَ العاصِ فلقِيَ الناسَ قد سالَ بهمُ الوادي، فقال: أينَ تريدون؟ فقالوا: نريدُ هذا ابن الخطَّاب الذي صَبَأ. قالَ: لا سبيل إليه فَكَرَّ الناسُ».

[الحديث ٣٨٦٤ - طرفه فيه ٣٨٦٥]

٣٨٦٥ ـ عن عمرُو بن دينارٍ سمعته قال: قال عبدُ اللهِ بن عمرَ رضيَ الله عنهما «لمَّا أسلم عمرُ، اجتمع الناسُ عند دارهِ وقال: صَبَأ عمر -وأنَا غلامٌ فوقَ ظهرِ بيتي- فجاءَ رجلٌ عليه قباءٌ من دِيباجٍ فَقَالَ: قد صبأ عمرُ، فما ذاك؟ فأنا له جارٌ. قالَ: فرأيت الناسَ تَصدَّعوا عنه فقلتُ من هذا؟ قالوا: العاصِ بن وائل».

٣٨٦٦ ـ عن عبدِ الله بنِ عمرَ قال: ما سمعتُ عمر لشَيْءٍ قطُّ يقول إني لأظُنُّهُ كذا إلا كان كما يَظنّ. بينما عمرُ جالسٌ إذ مرَّ به رجلٌ جميلٌ فقالَ عمرُ: لقد أخطأ ظني، أو إنَّ هذا على دِينهِ في الجاهلية، أو لقد كان كاهِنَهم، عليَّ الرَّجُلَ. فَدُعِيَ لهُ، فقال له ذلك. فقال: ما رأيتُ كاليوم استُقبِلَ به رجلٌ مسلم. قال: فإنِّي أعزِمُ عليكَ إلا مَا أخبرتَني. قال: كنتُ كاهِنَهم في الجاهلية. قال : فما أعجبُ ما جاءتكَ به جِنِّيَّتُكَ؟ قال: بَينما أنا يوماً في السوقِ، جاءَتني أعرِفُ فيها الفَزَع فَقَالت: ألم تَرَ الجنَّ وإبلاسَها، ويأسَها من بعد إنكاسِها

ولحوقَها بالقلاصِ وأحلاسها. قال عمر: صدق، بينما أنا نائمٌ عند آلهتِهم، إذا جاء رجلٌ بعِجْلٍ فذبحَهُ، فصَرَخَ به صارخٌ لم أسمَعْ صارخاً قَطُّ أشدَّ صوتاً منه يقول: يا جَليح، أمرٌ نَجيح، رجُل فصيح، يقول: لا إله إلا أنت. فوثبَ القومُ. قلتُ لا أبرَحُ حتى أعلمَ ما وراءَ هذا. ثم نادى: يا جَليحْ، أمرٌ نَجيح، رجُل فصيح، يقول: لا إلهَ إلا الله. فقمتُ فما نَشِبْنا أن قيلَ: هذا نبيٌّ».

٣٨٦٧ - عن قيسٍ قَالَ « سمعتُ سعيدَ بن زيدٍ يقول للقوم: لو رأيتُني مُوثقِي عُمَرُ على الإسلام أنَا وأختهُ، وما أسلم، ولو أنَّ أحداً انقضَّ لما صَنَعتم بعثمانَ لكان مَحقوقاً أن يَنقضَّ».

قوله ([١]وعليه حلة حبر) وهو برد مخطط بالوشي

قوله (أن اسلمت) أي لأجل إسلامي.

قوله (فما ذاك) أي فلا بأس، أولا قتل أو لا يعترض له، وقوله (أنا له جار) أي أجرته من أن يظلمه ظالم، وقوله (تصدعو) أي تفرقوا عنه.

قوله (إلا كان كما يظن) هو موافق لما تقدم في مناقبه أنه كان محدثا.

قوله (لقد أخطأ ظني) في رواية ابن عمر عند البيهقي «لقد كنت ذا فراسة، وليس لي الآن رأي إن لم يكن هذا الرجل ينظر في الكهانة».

قوله (أو) بسكون الواو (لقد كان كاهنهم) أي كان كاهن قومه. وحاصله أن عمر ظن شيئاً مترددا بين شيئين أحدهما يتردد بين شيئين كأنه قال: هذا الظن إما خطأ أو صواب فان كان صوابا فهذا الآن إما باق على كفره وإما كان كاهنا. وقد أظهر الحال القسم الأخير، وكأنه ظهرت له من صفة مشية أو غير ذلك قرينة أثرت له ذلك الظن، فالله أعلم

قوله (فإني أعزم عليك) أي ألزمك، وفي رواية محمد بن كعب «ماكنا عليه من الشرك أعظم مما كنت عليه من كهانتك».

قوله (إلا أخبرتني[٢]) أي ما أطلب منك إلا الإخبار.

قوله (كنت كاهنهم في الجاهلية) الكاهن الذي يتعاطى الخبر من الأمور المغيبة، وكانوا في الجاهلية كثيرا، فمعظمهم كان يعتمد على تابعه من الجن، وبعضهم كان يدعى معرفة ذلك بمقدمات أسباب يستدل بها على مواقعها من كلام من يسأله، وهذا الأخير يسمى

---

(١) في رواية الباب واليونينية بدون "و".
(٢) رواية الباب واليونينية "إلا ما أخبرتني".

العراف بالمهملتين، وسيأتي حكم ذلك واضحاً في كتاب الطب[١].

٣٦ ـ باب انشِقَاقِ القَمَر

٣٨٦٨ ـ عن أنسِ بن مالكٍ رضي الله عنه «أنَّ أهلَ مكةَ سألوا رسولَ الله ﷺ أن يريهم آيةً، فأراهم القَمَر شِقَّتَين، حتى رأوا حِراءً بينهما».

٣٨٦٩ ـ عن عبدِ الله رضيَ الله عنه قالَ: «انشقَّ القمرُ ونحن مع النبيِّ ﷺ بمنىً فقال: اشهَدوا، وذَهبت فِرقة نحوَ الجبل».

وقال أبو الضُّحى عن مسروقٍ عن عبد الله «انشقَّ بمكة»

وتابعَهُ محمدُ بن مسلمٍ عن ابن أبي نَجيحٍ عن مجاهدٍ عن أبي مَعمرٍ عن عبدِ الله.

٣٨٧٠ ـ عن عبدِ الله بنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما «إنَّ القمرَ انشَقَّ على زمانِ رسولِ الله ﷺ».

٣٨٧١ ـ عَنْ عبدِ اللهِ رضيَ الله عنه قالَ: «انشقَّ القمر».

قوله (باب انشقاق القمر) أي في زمان النبي ﷺ على سبيل المعجزة له، وقد ترجم بمعنى ذلك في علامات النبوة.

قوله (شقتين) بكسر المعجمة أي نصفين، وأخرجه مسلم من الوجه الذي أخرجه منه البخاري من حديث سعيد عن قتادة بلفظ «فأراهم انشقاق القمر مرتين»، ووقع في نظم السيرة لشيخنا الحافظ أبي الفضل: وانشق مرتين بالإجماع ولا أعرف من جزم من علماء الحديث بتعدد الانشقاق في زمنه ﷺ، ولم يتعرض لذلك أحد من شراح الصحيحين وتكلم ابن القيم عى هذه الرواية فقال: المرات يراد بها الأفعال تارة والأعيان أخرى، والأول أكثر. ومن الثاني «انشق القمر مرتين» وقد خفي على بعض الناس فادعى أن انشقاق القمر وقع مرتين، وهذا مما يعلم أهل الحديث والسير أنه غلط فانه لم يقع إلا مرة واحدة. وقد قال العماد بن كثير: في الرواية التي فيها «مرتين» نظر، ولعل قائلها أراد فرقتين. قلت: وهذا الذي لا يتجه غيره جمعا بين الروايات. ثم راجعت نظم شيخنا فوجدته يحتمل التأويل المذكور، ولفظه:

فصار فرقتين فرقة علت ... وفرقة للطود منه نزلت
وذاك مرتين بالإجمـاع ... والنص والتواتر السماع

فجمع بين قوله «فرقتين» وبين قوله «مرتين» فيمكن أن يتعلق قوله بالإجماع بأصل الانشقاق لا بالتعدد، مع أن في نقل الإجماع في نفس الانشقاق نظراً سيأتي بيانه.

---

(١) كتاب الطب باب / ٤٦ ح ٥٧٥٨ - ٤ / ٣٤٣

قوله (حتى رأوا حراء بينهما) أي بين الفرقتين، وحراء تقدم ضبطه في بدء الوحي وهو على يسار السائر من مكة إلى مني، وقال الخطابي: انشقاق القمر آية عظيمة لا يكاد يعدلها شيء من آيات الأنبياء، وذلك أنه ظهر في ملكوت السماء خارجا من جملة طباع ما في هذا العالم المركب من الطبائع، فليس مما يطمع في الوصول اليه بحيلة، فلذلك صار البرهان به أظهر.

٣٧ ـ باب هِجْرَةِ الحَبَشَةِ

وقالت عائِشَةُ: قالَ النبيُّ ﷺ: «أُريتُ دارَ هجرتكم ذات نخلٍ بين لابَتَين» فهاجر من هاجر قِبَلَ المدينة، ورجعَ من كان هاجرَ بأرضِ الحَبَشةِ إلى المدينة فيه عن أبي موسى وأسماءَ عن النبيِّ ﷺ

٣٨٧٢ ـ عن عُروة بن الزُّبير «أنَّ عُبيدَ الله بن عَديٍّ بن الخيار أخبرَه أن المِسْوَرَ بن مَخْرَمَةَ وعبدَ الرحمنِ بن الأسودِ بن عبد يغوثَ قالا له: ما يَمْنعُك أن تُكلِّم خالَكَ عثمانَ في أخيهِ الوليد بن عُقبةَ، وكان أكثرَ الناسُ فيما فَعلَ به. قال عُبيدُ الله: فانتَصَبْتُ لعثمانَ حينَ خَرَجَ إلى الصلاةِ فقلت له: إنَّ لي إليكَ حاجةً، وهي نَصيحة. فقال: أيها المرءُ، أعوذ بالله منك. فانصرفْتُ. فَلمَّا قَضَيتُ الصلاة جلستُ إلى المِسْوَر وإلى ابن عبد يَغوث فحَدَّثْتُهما بما قلتُ لعثمان وقال لي. فقالا: قد قَضَيتَ الذي كان عليك. فبينما أنا جالسٌ معهما إذ جاءني رسولُ عثمانَ، فقالا لي: قد ابتَلاكَ الله. فانطلقتُ حتى دخلتُ عليه، فقال: ما نَصيحتُكَ التي ذكرتَ آنفاً؟ قال فتشهدتُ ثم قلت: إن الله بعثَ محمداً ﷺ وأنزلَ عليه الكتاب، وكنتَ ممنِ استجابَ للهِ ورسوله ﷺ وآمنتَ به، وهاجَرتَ الهجرتينَ الأولَيين، وصَحبتَ رسولَ الله ﷺ ورأيتَ هَدْيَه. وقد أكثرَ الناسُ في شأنِ الوَليدِ بن عقبةَ، فحقٌّ عليكَ أنْ تُقيمَ عليه الحدَّ. فقال لي: يا ابنَ أخي، أدركتَ رسول الله ﷺ؟ قال: قلت لا، ولكن قد خَلصَ إليَّ من علمهِ ما خَلَصَ إلى العَذراءِ في سِترها. قال فتشَهَّدَ عثمانُ فقال: إنَّ الله قد بعث محمداً ﷺ بالحق، وأنزل عليه الكتابَ، وكنتُ ممن استجابَ لله ورسولهِ، وآمنتُ بما بُعِثَ به محمدٌ ﷺ، وهاجرتُ الهجرتينَ الأولَيَين -كما قلتَ- وصحبتُ رسول الله ﷺ وبايَعتُه. والله ما عَصَيتُه، ولا غَشَشْتُهُ حتى توفاهُ الله ثم استُخلِف الله أبَا بكرٍ، فو الله مَا عصيته ولا غَشَشتُه. ثم استُخلِف عمر، فو الله مَا عصيتُهُ ولا غَشَشتُه. ثم استختلفتُ، أفليس لي عليكم مثلُ الذي كان لهم عليَّ؟ قال: بلى. قال: فما هذه الأحاديثُ التي تبلُغُني عنكم؟ فَأمَّا مَا ذكرتَ من شأنِ الوليد بن عُقبةَ فسنأخُذُ فيهِ إن شاء الله بالحقّ. قال فجَلَدَ الوليدَ أربعينَ جلدة، وأمرَ علياً أن يَجلِدَه، وكان هو يَجلِدُه»، وقال يونسُ

وابنُ أخي الزُّهريِّ عن الزُّهريِّ «أفليس لي عليكم من الحقّ مثل الذي كان لهم».

قال أبو عبد الله: {بلاءٌ من ربكم} ما ابتُليتم به من شدَّة. وفي موضع: البلاءُ الابتلاء والتمحيص، من بَلَوتهُ ومحَّصتُه أي استخرجتُ ما عندَه. يبلوا: يختبر، مُبتليكم: مُختبِركم. وأما قوله {بلاء عظيم} النعَم، وهي مِن أبْلَيْتُه، وتلك من ابْتَلَيتُهُ.

٣٨٧٣ ـ عَنْ عَائِشَةَ رضيَ الله عنها «أن أمَّ حبيبةَ وأم سلمةَ ذكَرَتا كنيسةً رأينَها بالحبشةِ فيها تصاويرُ، فذكرتا للنبيِّ ﷺ، فقال: إن أولئكَ إذا كان فيهمُ الرجلُ الصالحُ فماتَ بنوا على قبره مسجداً، وصوَّروا فيه تيكَ الصور، أولئك شِرارُ الناسِ عند الله يَوْمَ القيامة».

٣٨٧٤ ـ عَنْ أمِّ خالد بنت خالدٍ قالت: «قَدِمتُ من أرضِ الحبشةِ وأنا جُويرية، فكساني رسولُ الله ﷺ خَميصةً لها أعلامٌ، فجعلَ رسولُ الله ﷺ يَمسَحُ الأعلامَ بيده ويقول: سَناه سَناه. قال الحميدي: يعني حسَنٌ حسَنٌ».

٣٨٧٥ ـ عن عبدِ اللهِ رضيَ الله عنهُ قالَ: «كُنَّا نُسَلِّمُ على النبيِّ ﷺ وَهُوَ يُصلِّي فيَرُدُّ علينا، فلما رجَعنا من عندِ النَّجاشيِّ سلَّمنا عليه فلم يَردَّ علينا، فقلنا: يارسولَ الله، إنَّا كنا نُسلمُ عليكَ فتردُّ علينا، قال: إنَّ في الصلاةِ شُغلاً. فقلتُ لإبراهيمَ كيفَ تَصنعُ أنت؟ قال: أردُّ في نفسي».

٣٨٧٦ ـ عَنْ أبِي موسى رضي الله عنه «بلغنا مَخرج النبيِّ ﷺ ونحن باليمن، فركبنا سفينة، فألقتْنا سفينتُنا إلى النجاشيِّ بالحبشة، فوافَقْنا جَعفرَ بن أبي طالبٍ، فأقمنا معهُ حتى قدِمْنا، فوافَقْنا النبيَّ ﷺ حينَ افتتحَ خَيبرَ، فقال النبيُّ ﷺ: لكم أنتم يا أهلَ السفينةِ هِجرَتان».

قوله (باب هجرة الحبشة) أي هجرة المسلمين من مكة إلى أرض الحبشة، وكان وقع ذلك مرتين، وذكر أهل السير أن الأولى كانت في شهر رجب من سنة خمس من المبعث، وأن أول من هاجر منهم أحد عشر رجلا وأربع نسوة، وقيل وامرأتان وقيل كانوا اثنى عشر رجلا وقيل عشرة، وأنهم خرجوا مشاة إلى البحر فاستأجروا سفينة بنصف دينار. وذكر ابن إسحق أن السبب في ذلك أن النبي ﷺ قال لأصحابه لما رأي المشركين يؤذونهم ولا يستطيع أن يكفهم عنهم: «ان بالحبشة ملكاً لا يظلم عنده أحد، فلو خرجتم اليه حتى يجعل الله لكم فرجا، فكان أول من خرج منهم عثمان بن عفان ومعه زوجته رقية بنت رسول الله ﷺ وأبطأ على رسول الله وأخرج يعقوب بن سفيان بسند موصول إلى أنس قال «أبطأ على رسول الله ﷺ خبرهما، فقدمت امرأة فقالت له: لقد رأيتهما وقد حمل عثمان امرأته على حمار، فقال: صحبهما الله، إن عثمان لأول من هاجر بأهله بعد لوط». قلت: وبهذا تظهر النكتة في

تصدير البخاري الباب بحديث عثمان، وقد سرد ابن إسحق أسماءهم، فأما الرجال فهم عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام وأبو حذيفة بن عتبة ومصعب بن عمير وأبو سلمة بن عبد الأسد وعثمان بن مظعون وعامر بن ربيعة وسهيل بن بيضاء وأبو سبرة بن أبي رهم العامري.

قال: فهؤلاء العشرة أول من خرج من المسلمين إلى الحبشة. قال ابن هشام: ويلغني أنه كان عليهم عثمان بن مظعون، وأما النسوة فهن رقية بنت النبي ﷺ وسهلة بنت سهل امرأة أبي حذيفة وأم سلمة بنت أبي أمية امرأة أبي سلمة وليلى بنت أبي حثمة امرأة عامر بن ربيعة، ووافقه الواقدي في سردهن وزاد اثنين عبد الله بن مسعود وحاطب بن عمرو، وسرد ابن إسحق أسماء أهل الهجرة الثانية وهم زيادة على ثمانين رجلا. وقال ابن جرير الطبري: كانوا اثنين وثمانين رجلا سوى نسائهم وأبنائهم، وشك في عمار بن ياسر هل كان فيهم وبه تتكمل العدة ثلاثة وثمانين، وقيل إن عدة نسائهم كانت ثماني عشرة امرأة.

٣٨ ـ باب موتِ النجاشيِّ

٣٨٧٧ ـ عَنْ جابرٍ رضِيَ اللّهُ عنهُ «قالَ النبيُّ ﷺ حين مَاتَ النجاشيُّ: مات اليوم رجلٌ صالح، فقوموا فصلُّوا على أخيكم أصْحَمَة»

٣٨٧٨ ـ عَنْ جابرِ بنِ عبدِ الله الأنصاريِّ رضيَ الله عنهما أنّ نبيَّ الله ﷺ صلّى على النجاشيِّ، فصَفَّنا وراءَهُ، فكنتُ في الصَّفِّ الثَّاني أوِ الثَّالث».

٣٨٧٩ ـ عَنْ جَابِرِ بنِ عبدِ الله رضيَ الله عنهما «أنَّ النبيَّ ﷺ صلّى على أصْحَمَةَ النجاشيِّ فكبَّرَ عليه أربعًا» تابعه عبدُ الصَّمَد

٣٨٨٠ ـ عَنْ أبي هريرةَ رضي الله عنه «أنَّ رسولَ اللّهِ ﷺ نَعى لهمُ النجاشيَّ صَاحِبَ الحَبَشَةِ في اليَوم الذي مات فيه، وقال: استَغفِروا لأخيكم».

٣٨٨١ ـ عن أبي هريرةَ رضي الله عنه «أنَّ رسُولَ اللّهِ ﷺ صَفَّ بهم في المُصلّى فصلّى عليه وكبَّرَ أربعاً».

(باب موت النجاشي) تقدم ذكر اسمه واسم أبيه في الجنائز[1]، وأن النجاشي لقب من ملك الحبشة، وذكر موته هنا استطراداً لكون المسلمين هاجروا إليه، وإنما وقعت وفاته بعد الهجرة سنة تسع عند الأكثر، وقيل سنة ثمان قبل فتح مكة كما ذكره البيهقي في «دلائل النبوة» وقد استشكل كونه لم يترجم بإسلامه وهذا موضعه وترجم بموته، وإنما مات بعد ذلك بزمن طويل، والجواب أنه لما لم يثبت عنده القصة الواردة في صفة إسلامه وثبت عنده الحديث الدال على إسلامه وهو صريح في موته ترجم به ليستفاد من الصلاة عليه أنه كان قد أسلم.

(١) كتاب الجنائز باب / ٦٤ ح ١٣٣٤ - ٣ / ٢٠٢ ص ١٩١

وقد تقدم الكلام على مباحث حديثي الباب في كتاب الجنائز[١].

٣٩ ـ باب تَقَاسُم المُشرِكِينَ على النبيِّ ﷺ

٣٨٨٢ ـ عن أبِي هريرةَ رضيَ الله عنه قالَ: «قالَ رسولُ الله ﷺ حينَ أراد حُنَيْناً: مَنْزِلُنا غداً -إن شاء الله- بِخَيفِ بَنِي كِنانَةَ حيثُ تقاسَمُوا على الكُفرِ».

قوله (باب تقاسم المشركين على النبي ﷺ) كان ذلك أول يوم من المحرم سنة سبع من البعثة وكان النجاشي قد جهز جعفرا ومن معه، فقدموا والنبي ﷺ بخبير وذلك في صفر منها[٢]، فلعله مات بعد أن جهزهم، وفي «الدلائل» للبيهقي أنه مات قبل الفتح وهو أشبه، قال ابن اسحق وموسى بن عقبة وغيرهما من أصحاب المغازي: لما رأت قريش أن الصحابة قد نزلوا أرضا أصابوا بها أمانا وأن عمر أسلم وأن الإسلام فشا في القبائل أجمعوا على أن يقتلوا رسول الله ﷺ، فبلغ ذلك أبا طالب فجمع بني هاشم وبني المطلب فأدخلوا رسول الله ﷺ شعبهم ومنعوه ممن أراد قتله، فأجابوه إلى ذلك حتى كفارهم فعلوا ذلك حمية على عادة الجاهلية، فلما رأت قريش ذلك أجمعوا أن يكتبوا بينهم وبين بني هاشم والمطلب كتابا أن لا يعاملوهم ولا يناكحوهم حتى يسلموا إليهم رسول الله ﷺ، ففعلوا ذلك وعلقوا الصحيفة في جوف الكعبة، وكان كاتبها منصور بن عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي فشُلَّت أصابعه.

قال ابن اسحق: فانحازت بنو هاشم وبنو المطلب إلى أبي طالب فكانوا معه كلهم إلا أبا لهب فكان مع قريش، وقيل كان ابتداء حصرهم في المحرم سنة سبع من المبعث، قال ابن اسحق: فأقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثا، وجزم موسى بن عقبة بأنها كانت ثلاث سنين حتى جهدوا ولم يكن يأتيهم شيء من الأقوات إلا خفية، حتى كانوا يؤذون من اطلعوا على أنه أرسل إلى بعض أقاربه شيئاً من الصلات، إلى أن قام في نقض الصحفية نفر من أشدهم في ذلك صنيعا هشام بن عمرو بن الحارث العامري، وكانت أم أبيه تحت هاشم بن عبد مناف قبل أن يتزوجها جده، فكان يصلهم وهم في الشعب، ثم مشى إلى زهير بن أبي أمية وكانت أمه عاتكة بنت عبد المطلب فكلمه في ذلك فوافقه، ومشيا جميعا إلى المطعم بن عدي وإلى زمعة بن الأسود فاجتمعوا على ذلك، فلما جلسوا بالحجر تكلموا في ذلك وأنكروه وتواطئوا عليه فقال أبو جهل هذا أمر قضى بليل. وفي آخر الأمر أخرجوا الصحيفة فمزقوها وأبطلوا حكمها وذكر ابن هشام انهم وجدوا الأرضة قد أكلت جميع ما فيها إلا اسم الله تعالى، وذكر الواقدي أن خروجهم من الشعب كان في سنة عشر من المبعث، وذلك قبل الهجرة بثلاث

(١) كتاب الجنائز باب / ٥٤ ح ١٣١٨ - ١ / ٦٧٢
(٢) كتاب الجنائز باب / ٥٤ ح ١٣١٨ - ١ / ٦٦٥

سنين، ومات أبو طالب بعد أن خرجوا بقليل. قال ابن اسحق ومات هو وخديجة في عام واحد، فنالت قريش من رسول الله ﷺ مالم تكن تنله في حياة أبي طالب. ولما لم يثبت عند البخاري شيء من هذه القصة اكتفى بايراد حديث أبي هريرة فيه دلالة على أصل القصة.

وسيأتي شرح الحديث في غزوة الفتح من كتاب المغازي[1] إن شاء الله تعالى.

٤٠ ـ باب قِصَّةِ أبي طالب

٣٨٨٣ ـ عن العباسِ بن عبدِ المطلبِ رضيَ الله عنه «قالَ للنبيِّ ﷺ: ما أغنيتَ عن عمِّكَ، فإنَّه كانَ يحوطُكَ ويَغْضَبُ لك، قال: هو في ضَحضاحٍ من نارٍ، ولولا أنا لكان في الدَّرْكِ الأسفل مِنَ النَّار».

[الحديث ٣٨٨٣- طرفاه في:٦٢٠٨،٦٥٧٢]

٣٨٨٤ ـ عن ابن المسَّيب عن أبيهِ «أنَّ أبا طالبٍ لما حضَرَتْهُ الوفاةُ دخلَ عليه النبيُّ ﷺ -وعندَهُ أبو جَهلٍ- فَقَالَ: أي عَمِّ، قل لا إله إلا الله كَلِمَةً أحاجُّ لكَ بها عندَ الله. فقالَ أبو جهلٍ وعبدُ الله بن أبي أمَيَّة: يَا أبَا طَالب، تَرغَبُ عن ملة عبدِ المطلب؟ فَلَمْ يَزالا يَكلِّمانه حتى قال آخرَ شيء كلَّمَهم به: على ملَّة عبد المطلب. فَقَالَ النبيُّ ﷺ: لأستغفرنَّ لكَ، مالم أنه عنه. فنزلَت {ما كان للنبيِّ والذينَ آمَنُوا أن يَستغفروا للمشركينَ ولَوْ كانوا أولي قربى من بعد ما تبينَ لهم أنهم أصحابُ الجحيم} /١١٣ التوبة/، ونزلت {إنكَ لا تَهدي مَن أحبَبْتَ} ٥٦ القصص/

٣٨٨٥ ـ عن أبي سعيدٍ الخدريِّ رضي الله عنه «أنَّهُ سَمِعَ النبيَّ ﷺ - وذُكِرَ عندهُ عمُّهُ فَقَالَ: لَعلَّهُ تنفعُهُ شفاعتي يومَ القيامةِ فيُجعَلَ في ضحضاحٍ من النَّارِ يَبْلُغُ كعبيهِ يَغلي منهُ دِماغُهُ».

[الحديث ٣٨٨٥ - طرفه في: ٦٥٦٤]

قوله (باب قصة أبي طالب) واسمه عند الجميع عبد مناف.

وكان شقيق عبد الله والد رسول الله ﷺ، ولذلك أوصى به عبد المطلب عند موته إليه فكفله إلى أن كبر، واستمر على نصره بعد أن بعث إلى أن مات أبو طالب، وقد ذكرنا أنه مات بعد خروجهم من الشعب، وذلك في آخر السنة العاشرة من المبعث، وكان يذب عن النبي ﷺ ويرد عنه كل من يؤذيه، وهو مقيم مع ذلك على دين قومه. وقد تقدم قريبا حديث ابن مسعود «وأما رسول الله ﷺ فمنعه الله بعمه» وأخباره في حياطته والذب عنه معروفة مشهورة، ومما اشتهر من شعره في ذلك قوله:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم ... حتى أوسد في التراب دفينا

(١) كتاب المغازي باب / ٤٨ ح ٤٢٨٤ - ٣ / ٣٧٣

قوله (كان يحوطك) من الحياطة وهي المراعاة، وفيه تلميح إلى ما ذكره ابن اسحق قال: « ثم إن خديجة وأبا طالب هلكا في عام واحد قبل الهجرة بثلاث سنين، وكانت خديجة له وزيرة صدق على الإسلام يسكن إليها، وكان أبو طالب له عضدا وناصرا على قومه، فلما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله ﷺ من الأذى ما لم تطمع به في حياة أبي طالب، حتى اعترضه سفيه من سفهاء قريش فنثر على رأسه ترابا: فحدثني هشام بن عروة عن أبيه قال: فدخل رسول الله ﷺ بيته يقول ما نالتني قريش شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب».

قوله (هو في ضحضاح) فإن الضحضاح من الماء ما يبلغ الكعب، والمعنى أنه خفف -عنه العذاب، ووقع في حديث ابن عباس عند مسلم إن أهون أهل النار عذابا أبو طالب له نعلان يغلي منهما دماغه»، ووقفت على جزء جمعه بعض أهل الرفض أكثر فيه من الأحاديث الواهية الدالة على إسلام أبي طالب ولا يثبت من ذلك شيء، وبالله التوفيق. وقد لخصت ذلك في ترجمة أبي طالب من كتاب الاصابة.

قوله (أن أبا طالب لما حضرته الوفاة) أي قبل أن يدخل في الغرغرة.

قوله (أحاج) وأصله أحاجج، وقد تقدم في أواخر الجنائز بلفظ «أشهد لك بها عند الله» وكأنه عليه الصلاة والسلام فهم من امتناع أبي طالب من الشهادة في تلك الحالة أنه ظن أن ذلك لا ينفعه لوقوعه عند الموت أو لكونه لم يتمكن من سائر الأعمال كالصلاة وغيرها، فلذلك ذكر له المحاجة. وأما لفظ الشهادة فيحتمل أن يكون ظن أن ذلك لا ينفعه إذا لم يحضره حينئذ أحد من المؤمنين مع النبي ﷺ، فطيب قلبه بأن يشهد له بها فينفعه. وفي رواية أبي حازم عن أبي هريرة عند أحمد «فقال أبو طالب: لولا أن تعيرني قريش يقولون ما حمله عليه إلا جزع الموت لأقررت بها عينك»، وفي الحديث جواز زيارة القريب المشرك وعيادته، وأن التوبة مقبولة ولو في شدة مرض الموت، حتى يصل إلى المعاينة فلا يقبل، لقوله تعالى: {فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا}، وأن الكافر إذا شهد شهادة الحق نجا من العذاب لأن الإسلام يجُبّ ما قبله، وأن عذاب الكفار متفاوت، والنفع الذي حصل لأبي طالب من خصائصه ببركة النبي ﷺ. وإنما عرض النبي ﷺ عليه أن يقول لا إله إلا الله ولم يقل فيها محمد رسول الله لأن الكلمتين صارتا كالكلمة الواحدة، ويحتمل أن يكون أبو طالب كان يتحقق أنه رسول الله ولكن لا يقر بتوحيد الله، ولهذا قال في الأبيات النونية :

ودعوتني وعلمت أنك صادق ... ولقد صدقت وكنت قبل أمينا

(تكملة): من عجائب الاتفاق أن الذين ادركهم الإسلام من أعمام النبي ﷺ أربعة: لم يسلم منهم اثنان. وأسلم اثنان. وكان اسم من لم يسلم ينافي أسامي المسلمين، وهما أبو طالب واسمه عبد مناف وأبو لهب واسمه عبد العزى، بخلاف من أسلم وهما حمزة والعباس.

٤١ ـ باب حديثِ الإسراء

وقولِ الله تعالى {سُبحان الذي أسَرى بعبدِهِ ليلاً منَ المسجدِ الحرامِ إلى المسجدِ الأقصى}

٣٨٨٦ ـ عن جابر بنِ عبدِ اللهِ رضيَ اللهُ عَنْهُمَا أنَّهُ سمعَ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «لما كذَّبني قرَيش قمتُ في الحِجر فجلى الله لي بيتَ المقدسِ، فطفقْتُ أخبرُهم من آياته، وأنا أنظرُ إليه».

[الحديث ٣٨٨٦ - طرفه في ٤٧١٠]

قوله (حديث الإسراء، وقول الله تعالى: سبحان الذي أسرى بعبده ليلا) سيأتي البحث في لفظ {أسرى} في تفسير سورة سبحان[١] إن شاء الله تعالى. قال ابن دحية: جنح البخاري إلى أن ليلة الإسراء كانت غير ليلة المعراج، لأنه أفرد لكل منهما ترجمة. قلت: ولا دلالة في ذلك على التغاير عنده، بل كلامه في أول الصلاة ظاهر في اتحادهما، وذلك أنه ترجم «باب كيف فرضت الصلاة ليلة الإسراء» والصلاة إنما فرضت في المعراج، فدل على اتحادهما عنده، وإنما أفرد كلا منهما بترجمة لأن كلا منهما يشتمل على قصة مفردة وإن كانا وقعا معا، وقد اختلف السلف بحسب اختلاف الأخبار الواردة: فمنهم من ذهب إلى أن الإسراء والمعراج وقعا في ليلة واحدة في اليقظة بجسد النبي ﷺ وروحه بعد المبعث، و إلى هذا ذهب الجمهور من علماء المحدثين والفقهاء والمتكلمين وتواردت عليه ظواهر الأخبار الصحيحة، ولا ينبغي العدول عن ذلك إذ ليس في العقل ما يحيله حتى يحتاج إلى تأويل .

قوله (سبحان) أصلها للتنزيه وتطلق في موضع التعجب، فعلى الأول المعنى تنزه الله عن أن يكون رسوله كذابا، وعلى الثاني عجب الله عباده بما أنعم به على رسوله، ويحتمل أن تكون بمعنى الأمر أى سبحوا الذي أسرى.

قوله (أسرى) مأخوذ من السري وهو سير الليل.

قوله (لما كذبني) في حديث ابن عباس عند أحمد والبزار بإسناد حسن قال: «قال رسول الله ﷺ: لما كان ليلة أسرى بي وأصبحت بمكة مر بي عدو الله أبو جهل فقال: هل كان من شيء؟ قال رسول الله ﷺ: إني أسري بي الليلة إلى بيت المقدس، قال: ثم أصبحت بين أظهرنا؟ قال: نعم، قال فإن دعوت قومك أتحدثهم بذلك؟ قال: نعم. قال يا معشر بني كعب بن لؤي. قال فانفضت إليه المجالس حتى جاءوا إليهما فقال: حدث قومك بما حدثتني، فحدثتهم، قال فمن بين مصفق ومن بين واضع يده على رأسه متعجبا، قالوا وتستطيع أن تنعت لنا المسجد الحديث، ووقع في غير هذه الرواية بيان ما رآه ليلة الإسراء، فمن ذلك

(١) كتاب التفسير "الإسراء" باب / ٣ ح ٤٧٠٩ - ٣ / ٥٨٢

ماوقع عند النسائي من رواية يزيد بن أبي مالك عن أنس قال «قال رسول الله ﷺ: أتيت بدابة فوق الحمار ودون البغل» الحديث وفيه «فركبت ومعي جبريل، فسرت فقال: انزل فصل، ففعلت، فقال: أتدري أين صليت؟ صليت بطيبة وإليها المهاجرة»، وفيه أنه مر في رجوعه بعير لقريش فسلم عليهم فقال بعضهم: هذا صوت محمد، وفيه أنه أعلمهم بذلك وأن عيرهم تقدم في يوم كذا؛ فقدمت الظهر يقدمهم الجمل الذي وصفه، وزاد في رواية يزيد بن أبي مالك «ثم دخلت بيت المقدس، فجمع لي الأنبياء، فقدمني جبريل حتى أممتهم» وفي رواية عبد الرحمن بن هاشم بن عتبة عن أنس عند البيهقي في «الدلائل» أنه مر بشيء يدعوه متنحيا عن الطريق، فقال له جبريل: سر، وأنه مر على عجوز فقال: ماهذه: فقال سر، وأنه مر بجماعة فسلموا فقال له جبريل اردد عليهم وفي آخره فقال له: الذي دعاك إبليس، والعجوز الدنيا، والذين سلموا إبراهيم وموسى وعيسى. وفي حديث أبي هريرة عند الطبراني والبزار أنه «مر بقوم يزرعون ويحصدون، كلما حصدوا عاد كما كان، قال جبريل: هؤلاء المجاهدون. ومر بقوم ترضخ رءوسهم بالصخر كلما رضخت عادت، قال: هؤلاء الذين تثاقل رءوسهم عن الصلاة. ومر بقوم على عوراتهم رقاع يسرحون كالأنعام، قال: هؤلاء الذين لا يؤدون الزكاة. ومر بقوم يأكلون لحما نيئا خبيثا ويدعون لحمًا نضيجًا طيبا قال: هؤلاء الزناة. ومر برجل جمع حزمة حطب لا يستطيع حملها ثم هو يضم إليها غيرها، قال: هذا الذي عنده الأمانة لا يؤديها وهو يطلب أخرى. ومر بقوم تقرض ألسنتهم وشفاههم، كلما قرضت عادت قال: هؤلاء خطباء الفتنة. ومر بثور عظيم يخرج من ثقب صغير يريد أن يرجع فلا يستطيع، قال: هذا الرجل يتكلم بالكلمة فيندم فيريد أن يردها فلا يستطيع».

قوله (فجلى الله لي بيت المقدس) قيل معناه كشف الحجب بيني وبينه حتى رأيته.

قال الشيخ أبو محمد بن أبي جمرة: الحكمة في الإسراء إلى بيت المقدس قبل العروج إلى السماء إرادة إظهار الحق لمعاندة من يريد إخماده، لأنه لو عرج به من مكة إلى السماء لم يجد لمعاندة الأعداء سبيلا إلى البيان والإيضاح، فلما ذكر أنه أسري به إلى بيت المقدس سألوه عن تعريفات جزئيات من بيت المقدس كانوا رأوها وعلموا أنه لم يكن رآها قبل ذلك، فلما أخبرهم بها حصل التحقيق بصدقه فيما ذكر من الإسراء إلى بيت المقدس في ليلة، وإذا صح خبره في ذلك لزم تصديقه في بقية ما ذكره، فكان ذلك زيادة في إيمان المؤمن، وزيادة في شقاء الجاحد والمعاند، انتهى ملخصا.

٤٢ ـ باب المِعْرَاجِ

٣٨٨٧ ـ عن أنسِ بن مالكٍ بن صَعْصَعَةَ رضي الله عنهُ «أنّ نبيَّ الله ﷺ حدَّثهُ عن

ليلةَ أسريَ به قال: بينما أنا في الحَطيم -وربَّما قال في الحِجر- مضطجعًا، إذ أتاني آتٍ فقدَّ -قال وسمعتُهُ يقول: فشقَّ- ما بين هذه إلى هذه. فقلتُ للجارود وهوَ إلى جَنبي: مَا يعني به؟ قال: من ثُغرةِ نحرِهِ إلى شعرَته -وسمعتُهُ يقول من قَصِّهِ إلى شِعرته- فاستخرج قلبي، ثمَّ أُتيتُ بطستٍ من ذهبٍ مملوءةٍ إيماناً، فغُسِلَ قلبي، ثم حُشي، ثُمَّ أُعيدَ، ثمَّ أُتيتُ بدابةٍ دُونَ البَغل وفوقَ الحمار أبيضَ. -فقال له الجارودُ: هوَ البُراقُ يَا أبَا حمزةَ؟ قالَ أنَسٌ: نعم يَضَعُ خَطوَهُ عندَ أقصى طرْفِهِ، فحُملتُ عليه، فانطلَقَ بِي جِبريلُ حتَّى أتى السماءَ الدُّنيا فاستفتحَ، فقيل: مَن هذا؟ قال: جِبريل. قيلَ: وَمن معك؟ قال: محمد. قيلَ: وقد أرسِلَ إليهِ؟ قالَ: نَعم، قيلَ: مَرحباً به، فنِعمَ المجيء جاء. فَفُتِحَ فلما خَلَصتُ فإذا فيها آدمُ، فقال: هذا أبوك آدمُ، فسلِّمْ عليه. فسلَّمتُ عليه، فرَدَّ السلامَ ثم قال: مَرحَباً بالابنِ الصالح والنبيِّ الصالح. ثم صَعِدَ بي حَتَّى أتى السماءَ الثانية فاستَفتح. قيلَ: من هذا؟ قالَ جبريل، قيل ومن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد أرسِلَ إليه؟ قال: نعم. قيل: مَرحباً به، فنعمَ المجيء جاء. ففُتح فلما خَلصتُ إذا يحيى وعيسى وهما ابنا خالة. قال: هذا يحيى وعيسى فسلِّم عليهما، فسلَّمت، فردَّا، ثم قالا: مرحباً بالأخ الصالح والنبيِّ الصالح. ثم صعِدَ بي إلى السماء الثالثة فاستَفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن مَعَكَ؟ قالَ: محمد. قيلَ: وقد أُرسِل إليه؟ قال: نعم. قيل: مرحباً به فنعمَ المجيء جاء ففتح، فلما خلصتُ إذا يوسف، قال: هذا يوسُف فسلِّمْ عليهِ، فسلَّمتُ عليه، فردَّ ثمَّ قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبيِّ الصالح. ثم صعِدَ بي حتى أتى السماء الرابعة فاستفتَح، قيلَ: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: أوَ قد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحباً به فنعم المجيء جاء. ففتح. فلما خلصتُ فإذا إدريس، قال: هذا إدريس فسلِّم عليه، فسلَّمتُ عليه، فردَّ ثمَّ قالَ: مَرحباً بالأخ الصالح والنبيِّ الصالح. ثم صعدَ بِي حتَّى أتى السَّمَاء الخامسة فاستَفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبريل قيلَ: ومن معك؟ قالَ: محمد ﷺ، قيل: وقد أرسِلَ إليه؟ قال: نعم. قيل: مرحباً به فنعمَ المجيء جاء. فلما خلصتُ فإذا هارونُ. قالَ: هذا هارونُ فسلِّمْ عليه، فسلَّمتُ عليه، فردَّ ثم قالَ: مَرحباً بالأخ الصالح والنبيِّ الصالح. ثم صَعِد بي حتى أتى السماء السادسة فاستَفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: من معكَ؟ قالَ: محمد. قيلَ: وقَدْ أُرسِلَ اليه؟ قال: نعم. قال: مرحباً به، فنعم المجيء جاء فلما خلصتُ فاذا موسى، قال: هذا موسى فسلِّمْ عليه، فسلَّمتُ عليه، فَردَّ ثُمَّ قالَ: مَرحباً بالأخ الصالح والنبيِّ الصالح. فلمَّا تجاوزت بكى. قيل له: ما يبكيك؟ قالَ: أبْكِي لأن غلاماً بعث بعدي يدخل الجنة من أمَّتِه أكثرُ ممن يدخُلها من أمَّتي. ثم صَعِدَ بي إلى السماء السابعة،

فاستَفتحَ جبريل، قُيل: مَن هذا؟ قال: جبريل قيلَ: ومَنْ مَعَكَ؟ قالَ: محمد. قيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إليهِ؟ قالَ: نعم. قالَ: مرحباً به، ونعمَ المجيء جاء. فلما خلصتُ فإذا إبراهيم، قال: هذا أبوك فسلِّمْ عليه. قال فسلَّمتُ عليهِ، فردَّ السلام، ثُمَّ قالَ مَرحباً بالابن الصالح والنبيِّ الصالح. ثُمَّ رُفِعَت لي سِدرةُ المنتهى، فإذا نَبقُها مثل قِلالِ هَجَر، وإذا وَرَقُها مثلُ آذانِ الفِيَلة. قال: هذه سِدرة المنتهى، وإذا أربعةُ أنهارٍ: نهرانِ باطنان، ونهرانِ ظاهران. فقلتُ: ما هذانِ يا جبريل؟ قال: أما الباطنان فنهرانِ في الجنة، وأما الظاهرانِ فالنِّيلُ والفُرات. ثم رُفِعَ لي البيتُ المعمور. ثمَّ أُتيتُ بإناء من خَمر وإناء من لبن وإناء من عَسل، فأخذتُ اللبنَ، فقال: هيَ الفِطرةُ التي أنت عليها وأمَّتُكَ. ثُمَّ فُرِضت عليَّ الصلاةُ خمسينَ صلاة كلَّ يوم، فرجَعْتُ فمررت على موسى، فَقَالَ: بِمَا أُمِرْتَ؟ قال: أُمِرْتُ بخمسينَ صلاة كل يوم. قالَ: إنَّ أمتك لا تَستطيعُ خمسينَ صلاة كل يوم، وإني واللّه قد جربتُ الناسَ قبلك، وعالجتُ بني إسرائيل أشد المعالجة، فارجع إلى ربِّك فاسأله التخفيف لأمتك، فرجعتُ، فوضَعَ عني عشراً، فرجعت إلى موسى فَقَالَ مثله. فَرَجَعْتُ فَوَضَعَ عني عشراً فرجعت إلى مُوسَى فقالَ مثله. فرجعتُ فَوَضَعَ عني عشراً، فَرَجَعْت إِلى مُوسَى فَقَالَ مثله. فَرَجعت فأُمِرتُ بعَشرِ صلواتٍ كلَّ يوم، فرجعتُ فَقَالَ مثله. فرجعتُ فأُمرتُ بخمس صلواتٍ كل يوم، فرجعتُ إلى موسى فَقَالَ: بِمَا أُمِرْتَ؟ قلتُ: أُمرتُ بخمسِ صلوات كل يوم. قال: إن أمتكَ لا تَستطيع خمسَ صلواتٍ كل يوم، وإني قد جَربتُ الناسَ قبلك، وعالجتُ بني إسرائيلَ أشد المعالجة، فارجعْ إِلى ربِّكَ فاسألهُ التخفيف لأمتك. قالَ سألت رَبي حتى استحيَيتُ، ولكن أرضى وأسلم. قالَ فَلما جاوزتُ نادَى مُنادٍ: أمضَيتُ فريضتي، وخَفَّفتُ عن عبادي».

٣٨٨٨ - عن ابن عبّاسٍ رضيَ اللّهُ عَنْهُمَا فِي قَوْلِهِ تعالَى [٦٠ الإسراء]: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤيا التي أَرَيناكَ إلاَّ فتنة للناس﴾ قال: هي رؤيا عين أُرِيَهَا رسولُ اللّهِ ﷺ ليلةَ أسرى به إلى بيتِ المقدِس. قال: والشجرةَ الملعونةَ في القرآنِ هي شجرةُ الزقُّوم»

[الحديث ٣٨٨٨ - طرفاه في: ٤٧١٦، ٦٦١٣]

قوله (باب المعراج) من عرج بفتح الراء يعرج بضمها إذا صعد. وقد اختلف في وقت المعراج فقيل كان قبل المبعث، وهو شاذ إلاَّ إن حُمِل على أنه وقع حينئذ في المنام كما تقدم، وذهب الأكثر إلى أنه كان بعد المبعث. ثم اختلفوا فقيل قبل الهجرة بسنة قاله ابن سعد وغيره وبه جزم النووي، وبالغ ابن حزم فنقل الإجماع فيه، وهو مردود فإن في ذلك اختلافا كثيرا يزيد على عشرة أقوال، منها ما حكاه ابن الجوزي أنه كان قبلها بثمانية أشهر، وقيل بستة أشهر. وقيل قبل الهجرة بثلاث سنين حكاه ابن الأثير، وحكى عياض وتبعه

القرطبي والنووي عن الزهري أنه كان قبل الهجرة بخمس سنين ورجحه عياض ومن تبعه واحتج بأنه لا خلاف أن خديجة صلت معه بعد فرض الصلاة، ولا خلاف أنها توفيت قبل الهجرة إما بثلاث أو نحوها وإما بخمس، ولا خلاف أن فرض الصلاة كان ليلة الإسراء. قلت: في جميع ما نفاه من الخلاف نظر.

قوله (في الحطيم وربما قال في الحجر) والمراد بالحطيم هنا الحجر.

قوله (إذ أتاني آت) هو جبريل كما تقدم.

قوله (إيمانا) زاد في بدء الخلق «وحكمة».

قال النووي: معناه أن الطست كان فيها شيء يحصل به زيادة في كمال الإيمان وكمال الحكمة وهذا الملء يحتمل أن يكون على حقيقته، وتجسيد المعاني جائز كما جاء أن سورة البقرة تجيء يوم القيامة كأنها ظلة، والموت في صورة كبش، وكذلك وزن الأعمال وغير ذلك من أحوال الغيب.

قوله (فغسل قلبي) في رواية مسلم «فاستخرج قلبي فغسل بماء زمزم» وفيه فضيلة ماء زمزم على جميع المياه.

قوله (بالابن الصالح والنبي الصالح) قيل اقتصر الأنبياء على وصفه بهذه الصفة وتواردوا عليها لأن الصلاح صفة تشمل خلال الخير، ولذلك كررها كل منهم عند كل صفة، والصالح هو الذي يقوم بما يلزمه من حقوق الله وحقوق العباد، فمن ثم كانت كلمة جامعة لمعاني الخير.

قوله في قصة موسى (فلما تجاوزت بكى، قيل له ما يبكيك؟ قال: أبكي لأن غلاما بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخلها من أمتي.

قال العلماء: لم يكن بكاء موسى حسدا، معاذ الله، فإن الحسد في ذلك العالم منزوع عن آحاد المؤمنين فكيف بمن اصطفاه الله تعالى، بل كان أسفا على مافاته من الأجر الذي يترتب عليه رفع الدرجة بسبب ما وقع من أمته من كثرة المخالفة المقتضية لتنقيص أجورهم المستلزم لتنقيص أجره، لأن لكل نبي مثل أجر كل من اتبعه، ولهذا كان من اتبعه من أمته في العدد دون من اتبع نبينا ﷺ مع طول مدتهم بالنسبة لهذه الأمة. وأما قوله «غلام» فليس على سبيل النقص، بل على سبيل التنويه بقدرة الله وعظيم كرمه إذ اعطى لمن كان في ذلك السن ما لم يعطه أحدا قبله ممن هو أسنُّ منه، وقال القرطبي: الحكمة في تخصيص موسى بمراجعة النبي ﷺ في أمر الصلاة لعلها لكون أمة موسى كلفت من الصلوات بما لم تكلف به غيرها من الأمم، فثقلت عليهم، فأشفق موسى على أمة محمد من مثل ذلك. ويشير إلى ذلك، قوله (إني قد جربت الناس قبلك) انتهى.

قوله (ثم رفعت إليّ [١]سدرة المنتهى) المراد أنه رفع إليها أي ارتقى به وظهرت له ووقع بيان سبب تسميتها سدرة المنتهى في حديث ابن مسعود عند مسلم ولفظه «لما أسري برسول الله ﷺ قال: انتهى بي إلى سدرة المنتهى وهي في السماء السادسة وإليها ينتهي ما يعرج من الأرض فيقبض منها، وإليها ينتهي ما يهبط فيقبض منها»

قوله (فإذا نبقها) والنبق معروف وهو ثمر السدر

قوله (مثل قلال هجر) قال الخطابي: القلال بالكسر جمع قلة بالضم هي الجرار، يريد أن ثمرها في الكبر مثل القلال

قوله (وأما الظاهران فالنيل والفرات)

قال النووي: في هذا الحديث أن أصل النيل والفرات من الجنة، وأنهما يخرجان من أصل سدرة المنتهى، ثم يسيران حيث شاء الله، ثم ينزلان إلى الأرض، ثم يسيران فيها ثم يخرجان منها، وهذا لا يمنعه العقل، وقد شهد به ظاهر الخبر فليعتمد. وأما قول عياض: إن الحديث يدل على أن أصل سدرة المنتهى في الأرض لكونه قال: إن النيل والفرات يخرجان من أصلها وهما بالمشاهدة يخرجان من الأرض فيلزم منه أن يكون أصل السدرة في الأرض، وهو متعقب، فإن المراد بكونهما يخرجان من أصلها غير خروجهما بالنبع من الأرض. والحاصل أن أصلها في الجنة وهما يخرجان أولا من أصلها ثم يسيران إلى أن يستقرا في الأرض ثم ينبعان. واستدل به على فضيلة ماء النيل والفرات لكون منبعهما من الجنة، وكذا سيحان وجيحان.

قوله (ثم أتيت بإناءٍ من خمر وإناء من لبن وإناء من عسل، فأخذت اللبن، فقال: هي الفطرة التي أنت عليها) أي دين الإسلام.

قوله (ثم فرضت علي الصلاة) والحكمة في تخصيص فرض الصلاة بليلة الإسراء أنه ﷺ لما عرج به رأى في تلك الليلة تعبد الملائكة وأن منهم القائم فلا يقعد والراكع فلا يسجد والساجد فلا يقعد، فجمع الله له ولأمته تلك العبادات كلها في كل ركعة يصليها العبد، بشرائطها من الطمأنينة والإخلاص، أشار إلى ذلك ابن أبي جمرة، وقال: وفي اختصاص فرضيتها بليلة الإسراء إشارة إلى عظيم بيانها.

قوله (فلما جاوزت ناداني[١]مناد: أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي) هذا من أقوى ما استدل به على أن الله سبحانه وتعالى كلم نبيه محمداً ﷺ ليلة الاسراء بغير واسطة، وفي الحديث من الفوائد غير ما تقدم: أن للسماء أبوابا حقيقة وحفظة موكلين بها، وفيه إثبات الاستئذان، وأنه ينبغي لمن يستأذن أن يقول أنا فلان، ولا يقتصر على أنا لأنه ينافي

(١) رواية الباب واليونينية "لي".

مطلوب الاستفهام، وأن المار يسلم على القاعد وإن كان المار أفضل من القاعد، وفيه استحباب تلقي أهل الفضل بالبشر والترحيب والثناء والدعاء، وجواز مدح الإنسان المأمون عليه الافتتان في وجهه، وفيه جواز الإستناد إلى القبلة بالظهر وغيره مأخوذ من إستناد إبراهيم إلى البيت المعمور وهو كالكعبة في أنه قبلة من كل جهة، وفيه جواز نسخ الحكم قبل وقوع الفعل، وقد سبق البحث فيه في أول الصلاة، وفيه فضل السير بالليل على السير بالنهار لما وقع من الإسراء بالليل، ولذلك كانت أكثر عبادته ﷺ بالليل، وكان أكثر سفره ﷺ بالليل، وقال: ﷺ «عليكم بالدلجة فإن الأرض تطوى بالليل» وفيه أن التجربة أقوى في تحصيل المطلوب من المعرفة الكثيرة، يستفاد ذلك من قول موسى عليه السلام للنبي ﷺ أنه عالج الناس قبله وجربهم، ويستفاد منه تحكيم العادة، والتنبيه بالأعلى على الأدنى لأن من سلف من الأمم كانوا أقوى أبدانا من هذه الأمة، وقد قال موسى في كلامه إنه عالجهم على أقل من ذلك فما وافقوه، أشار إلى ذلك ابن أبي جمرة قال: ويستفاد منه أن مقام الخلة مقام الرضا والتسليم، ومقام التكليم مقام الإدلال والانبساط، ومن ثم استبد موسى بأمر النبي ﷺ بطلب التخفيف دون ابراهيم عليه السلام، مع أن للنبي ﷺ من الاختصاص بإبراهيم أزيد مما له من موسى لمقام الأبوة ورفعة المنزلة والاتباع في الملة.

وفيه استحباب الإكثار من سؤال الله تعالى وتكثير الشفاعة عنده، لما وقع منه ﷺ في إجابته مشورة موسى في سؤال التخفيف. وفيه فضيلة الاستحياء، وبذل النصيحة لمن يحتاج إليها وإن لم يستشر الناصح في ذلك.

٤٣ ـ باب وُفُودِ الأنْصارِ إلى النبيِّ ﷺ بمَكةَ، وبَيعةِ العَقَبة

٣٨٨٩ ـ حدّثنا يحيى بن بُكَيرٍ حدّثنا الليثُ عن عُقيلٍ عن ابنِ شهاب وحدّثنا أحمدُ بن صالح حدّثنا عَنبَسةُ حدّثنا يونُسُ عن ابن شهاب قال أخبرَني عبدُ الرحمن بن بن عبد الله بن كعب بن مالكٍ أن عبدَ الله بن كَعبٍ -وكانَ قائد كعبٍ حين عَمِيَ- قالَ: سمعتُ كعبَ بن مالكٍ يُحدِّثُ حينَ تَخلّفَ عنِ النبيِّ ﷺ في غزوةِ تبوكَ بطوله، قالَ ابن بُكيرٍ في حديثه «ولقد شَهِدتُ مع النبيِّ ﷺ ليلةَ العقبةِ حينَ تواثَقْنا على الإسلام، وما أُحِبُّ أنَّ لي بها مَشهدَ بدَر، وإن كانت بَدْرٌ أذكَرَ في الناسِ منها».

٣٨٩٠ ـ عن جابرَ بن عبدِ الله رضيَ الله عَنهُمَا يقول: «شَهِدَ بي خالايَ العقبةَ».

[الحديث ٣٨٩٠ - طرفه في: ٣٨٩١]

٣٨٩١ ـ عن جابر قال: «أنا وأبي وخالايَ من أصحابِ العقَبة»

---

(١) رواية الباب واليونينية "نادى"

٣٨٩٢ ـ عن عائذُ اللّه بن عبد اللّه «أنَّ عُبادة بن الصامت - منَ الذين شهدوا بدراً مع رسولِ اللّه ﷺ ومن أصحابِهِ ليلة العقَبةِ - أخبره ان رسولَ اللّه ﷺ قالَ وحوله عِصابةٌ من أصحابِهِ: تعالَوا بايعوني على أن لا تُشركوا باللّه شيئاً، ولا تَسرِقوا، ولا تَزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا بُبهتانٍ تَفترونه بينَ أيديكم وأرجُلِكم، ولا تَعصوني في مَعروف. فمن وَفى منكم فأجرُهُ على الله، ومن أصَابَ من ذلكَ شيئًا فعوقبَ بهِ في الدنيا فهو له كفّارة، ومن أصابَ من ذلكَ شيئاً فستَرَهُ الله فأمرُهُ إلى اللّه: إن شاءَ عاقَبهُ، وإن شاء عَفا عنه قالَ: فبايَعْناه على ذلك».

٣٨٩٣ ـ عن عُبادةَ بن الصامتِ رضيَ اللّه عَنْهُ أنَّهُ قالَ: «إنّي من النُّقَباءِ الذين بايَعوا رسولَ الله ﷺ، وقالَ: بَايَعناهُ عَلَى أن لا نُشرِكَ باللّه شيئا، ولا نَسرِقَ، ولا نَزْني، ولا نقتُلَ النفسَ التي حرَّمَ الله إلا بالحقّ، ولا نَنْتَهِبَ، ولا نَقْضي بالجَنَّة إن فعلنا ذلك، فان غَشينا من ذلك شَيْئًا كان قضاءُ ذلك إلى اللّهِ».

قوله (باب وفود الأنصار إلى النبي ﷺ بمكة وبيعة العقبة) ذكر ابن إسحق وغيره أن النبي ﷺ كان بعد موت أبي طالب قد خرج الى ثقيف بالطائف يدعوهم إلى نصره، فلما امتنعوا منه كما تقدم في بدء الخلق شرحه[١] رجع إلى مكة فكان يعرض نفسه على قبائل العرب في مواسم الحج، وذكر بأسانيد متفرقة أنه أتى كندة وبني كعب وبني حذيفة وبني عامر بن صعصعة وغيره فلم يجبه أحد منهم إلى ما سأل، وقال موسى بن عقبة عن الزهري «فكان في تلك السنين -أي التي قبل الهجرة- يعرض نفسه على القبائل، ويكلم كل شريف قوم، لا يسألهم الا أن يؤوه ويمنعوه، ويقول: لا أكره احدا منكم على شيء، بل أريد أن تمنعوا من يؤذيني حتى أبلغ رسالة ربي، فلا يقبله أحد بل يقولون: قوم الرجل أعلم به»، وقد أخرج الحاكم وأبو نعيم والبيهقي في «الدلائل» بإسناد حسن عن ابن عباس «حدثني علي بن أبي طالب قال: لما أمر الله نبيه أن يعرض نفسه على قبائل العرب خرج وأنا معه وأبو بكر إلى منى، حتى دفعنا إلى مجلس من مجالس العرب، وتقدم أبو بكر وكان نسابة فقال: من القوم؟ فقالوا: من ربيعة. فقال من أي ربيعة أنتم؟ قالوا: من ذهل -فذكروا حديثا طويلا في مراجعتهم وتوقفهم أخيرا عن الإجابة- قال ثم دفعنا إلى مجلس الأوس والخزرج، وهم الذين سماهم رسول الله ﷺ الانصار لكونهم أجابوه إلى إيوائه ونصره، قال: فما نهضوا حتى بايعوا رسول الله ﷺ» انتهى. وذكر ابن إسحق أن أهل العقبة الأولى كانوا ستة نفر وهم: أبو أمامة أسعد بن زرارة النجاري ورافع بن مالك بن العجلان العجلاني وقطبة بن عامر بن

(١) كتاب بدء الخلق باب / ٧ ح ٣٢٣١ - ٢ / ٧٢٩

حديدة وجابر بن عبد الله بن رئاب، وعقبة بن عامر -وهؤلاء الثلاثة من بني سلمة- وعوف بن الحارث بن رفاعة من بني مالك بن النجار.

قال ابن إسحق «حدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن أشياخ من قومه قال لما رآهم النبي ﷺ قال: من أنتم؟ قالوا من الخزرج. قال: أفلا تجلسون أكلمكم؟ قالوا: نعم. فدعاهم إلى الله، وعرض عليهم الإسلام، وتلا عليهم القرآن وكان مما صنع الله لهم أن اليهود كانوا معهم في بلادهم، وكانوا أهل كتاب، وكان الأوس والخزرج أكثر منهم فكانوا إذا كان بينهم شيء قالوا: إن نبيا سيبعث الآن قد أظل زمانه نتبعه، فنقتلكم معه، فلما كلمهم النبي ﷺ عرفوا النعت، فقال بعضهم لبعض: لا تسبقنا إليه يهود. فآمنوا وصدقوا، وانصرفوا إلى بلادهم ليدعوا قومهم، فلما أخبروهم لم يبق دور من قومهم إلا وفيها ذكر رسول الله ﷺ، حتى إذا كان الموسم وافاه منهم اثنا عشر رجلا».

قال ابن اسحق «حدثني معبد بن كعب بن مالك أن أخاه عبد الله -وكان من أعلم الانصار- حدثه أن أباه كعبا حدثه، وكان ممن شهد العقبة وبايع بها قال: خرجنا حجاجا مع مشركي قومنا وقد صلينا وفقهنا، ومعنا البراد بن معرور سيدنا وكبيرنا - فذكر شأن صلاته إلى الكعبة قال: فلما وصلنا إلى مكة ولم نكن رأينا رسول الله ﷺ قبل ذلك، فسألنا عنه فقيل: هو مع العباس في المسجد، فدخلنا فجلسنا إليه، فسأله البراء عن القبلة، ثم خرجنا إلى الحج، وواعدناه العقبة ومعنا عبد الله بن عمرو والد جابر ولم يكن اسلم قبل فعرفناه أمر الإسلام فأسلم حينئذ وصار من النقباء، قال فاجتمعنا عند العقبة ثلاثة وسبعين رجلا، ومعنا امرأتان أم عمارة بنت كعب إحدى نساء بني مازن وأسماء بنت عمرو بن عدي إحدى نساء بني سلمة، قال فجاء ومعه العباس فتكلم فقال: إن محمد منا من حيث علمتم، وقد منعناه وهو في عز، فان كنتم تريدون إنكم وافون له بما دعوتموه إليه ومانعوه ممن خالفه فأنت وذاك، والا فمن الآن. قال فقلنا: تكلم يارسول الله، فخذ لنفسك ما أحببت. فتكلم فدعا إلى الله وقرأ القرآن ورغب في الإسلام ثم قال: أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم، قال فأخذ البراء بن معرور بيده فقال: نعم» فذكر الحديث وفيه فقال رسول الله ﷺ: أسالم من سالمتم، وأحارب من حاربتم. ثم قال: أخرجوا إلي منكم اثنى عشر نقيبا» وذكر ابن إسحق النقباء وهم أسعد بن زرارة ورافع بن مالك والبراء بن معرور وعبادة بن الصامت وعبد الله بن عمرو بن حرام وسعد بن الربيع وعبد الله بن رواحة وسعد بن عبادة والمنذر بن عمرو بن حبيش وأسيد بن حضير وسعد بن خيثمة وابو الهيثم بن التيهان. قال ابن إسحق «حدثني عبد الله بن أبي بكر بن حزم أن رسول الله ﷺ قال للنقباء: أنتم كفلاء

على قومكم ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم، قالوا: نعم» وذكر أيضاً أن قريشا بلغهم أمر البيعة فأنكروا عليهم، فحلف المشركون منهم وكانوا أكثر منهم -قيل كانوا خمسمائة نفس- إن ذلك لم يقع، وذلك لأنهم ما علموا بشيء مما جري، وذكر ابن إسحق أن النبي ﷺ بعث مع الإثنى عشر رجلا مصعب بن عمير العبدري، وقيل بعثه اليهم بعد ذلك بطلبهم ليفقههم ويقرئهم، فنزل على أسعد بن زرارة، فروى أبو داود من طريق عبد الرحمن بن كعب بن مالك قال: «كان أبي إذا سمع الآذان للجمعة استغفر لأسعد بن زرارة، فسألته، فقال: كان أول من جمع بنا بالمدينة» وللدارقطني من حديث ابن عباس «أن النبي ﷺ كتب إلى مصعب بن عمير أن أجمع بهم» اهـ، فأسلم خلق كثير من الأنصار على يد مصعب بن عمير بمعاونة اسعد بن زرارة حتى فشا الإسلام بالمدينة، فكان ذلك سبب رحلتهم في السنة المقبلة، حتى وأفى منهم العقبة سبعون مسلما وزيادة، فبايعوا كما تقدم.

٤٤ ـ باب تَزْوِيجِ النبيِّ ﷺ عائشَةَ، وقُدُومِهَا المدينةَ، وبِنَائه بِهَا

٣٨٩٤ ـ عن عائشةَ رضيَ اللهُ عنها قالت: «تزوَّجَني النبيُّ ﷺ وانا بِنتُ ستِّ سنينَ، فقدِمنا المدينةَ فنزَلنا في بني الحارثِ بن الخزرج، فَوعِكْتُ فتمزَّقَ شعري، فَوفى جُمَيْمَةً، فأتتني أمِّي أمُّ رُومَانَ -وإني لفي أرجوحةٍ ومَعيَ صواحبُ لِي - فصَرَخَت بي فأتيتُها، لا أدري ما تُريدُ بي، فأخذَتْ بيدي حتى أوقفَتْني على باب الدَّارِ، وإني لأُنْهَجُ حتى سَكنَ بعضُ نَفَسي. ثمَّ أخذَتْ شيئاً من ماءٍ فمسحَتْ به وَجهِي ورأسي، ثُمَّ أدخلَتْني الدارَ، فاذا نسوة من الأنصار في البيتِ، فقُلْنَ: على الخَيْرِ والبركة، وعَلَى خَيْرِ طائرٍ. فأسلمَتْني إليهنَّ، فأصلحْنَ من شأني، فَلَمْ يَرُعْني إلا رسول الله ﷺ ضُحًى، فأسلمَتْني إليه، وأنا يَوْمئذٍ بنتُ تسعِ سنينَ».

[الحديث ٣٨٩٤ - أطرافه في: ٣٨٩٦، ٥١٣٤، ٥١٥٦، ٥١٥٥]٢٣٤

٣٨٩٥ ـ عَنْ عَائِشَةَ رضيَ اللهُ عَنْهَا «أَنَّ النبيَّ ﷺ قالَ لها أُريتُكِ في المنام مرَّتَين: أرَى أنك فِي سرقَةٍ من حرير ويقول: هذهِ امرَأتُكَ فَاكشِفْ، فَإذَا هِيَ أنْتِ، فأقول: إن يكُ هذا من عندِ اللهِ يُمْضِه».

[الحديث ٣٨٩٥ - أطرافه في ٥٠٧٨، ٥١٢٥، ٧٠١١، ٧٠١٢]

٣٨٩٦ ـ عن هشامٍ عن أبيهِ قالَ: «تُوُفِّيَتْ خديجةُ قبل مَخرَجِ النبيِّ ﷺ إلى المدينةِ بثلاثِ سنين، فلبثَ سنَتينِ أو قريباً من ذلك، ونكحَ عائشة وهِيَ بنتُ ست سنين، ثم بنى بها وهي بنتُ تسعِ سنينَ».

قوله (وقدومها المدينة) أي بعد الهجرة.

قوله (وبنائه بها) أي بالمدينة. وكان دخولها عليه في شوال من السنة الأولى وقيل من الثانية.

قوله (فوفى) أي كثر، وفي الكلام حذف تقديره ثم فصلت من الوعك فتربى شعري فكثر، وقولها «جميمة» بالجيم مصغر الجمة بالضم وهي مجتمع شعر الناصية، ويقال للشعر إذا سقط عن المنكبين جمة، وإذا كان إلى شحمة الأذنين وفرة، وقولهن «على خير طائر» أي على خير حظ ونصيب، وقولها «فلم يرعني» أي لم يفزعني شيء إلا دخوله عليَّ، وكنَّت بذلك عن المفاجأة بالدخول على غير عالم بذلك فإنه يفزع غالبا.

قوله (سرقة) أي قطعة، أي يريه صورتها.

قوله (فإذا هي أنت) سيأتي الكلام على شرحه في كتاب النكاح[1] إن شاء الله تعالى، وقد روى أحمد والطبراني بإسناد حسن عن عائشة قالت: «لما توفيت خديجة قالت خولة بنت حكيم امرأة عثمان بن مظعون: يا رسول الله ألا تزوج؟ قال: نعم، فما عندك؟ قالت: بكر وثيب، البكر بنت أحب خلق الله إليك عائشة، والثيب سودة بنت زمعة. قال: فاذهبي فاذكريهما علي فدخلت على أبي بكر فقال: إنما هي بنت أخيه، قال: قولي له أنت أخي في الإسلام، وابنتك تصلح لي. فجاءه فأنكحه ثم دخلت على سودة فقالت لها: أخبري أبي، فذكرت له، فزوجه»، وأخرجه الطبراني من وجه آخر عن عائشة قالت: لما هاجر رسول الله ﷺ وأبو بكر خلفنا بمكة، فلما استقر بالمدينة بعث زيد بن حارثة وأبا رافع، وبعث أبو بكر عبد الله بن أريقط وكتب إلى عبد الله بن أبي بكر أن يحمل معه أم رومان وأم أبي بكر وأنا وأختي أسماء، فخرج بنا، وخرج زيد وأبو رافع بفاطمة وأم كلثوم وسودة بنت زمعة، وأخذ زيد امرأته أم أيمن وولديها أيمن وأسامة، واصطحبنا، حتى قدمنا المدينة فنزلت في عيال أبي بكر، ونزل آل النبي ﷺ عنده، وهو يومئذ يبني المسجد وبيوته، فأدخل سودة بنت زمعة أحد تلك البيوت، وكان يكون عندها، فقال له أبو بكر: ما يمنعك أن تبني بأهلك؟ فبنى بي» الحديث. قال الماوردي: الفقهاء يقولون: تزوج عائشة قبل سودة، والمحدثون يقولون: تزوج سودة قبل عائشة، وقد يجمع بينهما بأنه عقد على عائشة ولم يدخل بها ودخل بسودة. قلت: والرواية التي ذكرتها عن الطبراني ترفع الاشكال وتوجه الجمع المذكور، والله أعلم.

(١) كتاب النكاح باب / ٣٥ ح ٥١٢٥ - ٤ / ٦٥

٤٥ ـ باب هجرةِ النبيِّ ﷺ وأصحابه إلى المدينة

وقال عبدُ الله بن زيدٍ وأبو هريرةَ رضيَ اللهُ عنهما عن النبيِّ ﷺ «لولا الهجرةُ لكنت امرءاً من الأنصار».

وقال أبو موسى عن النبيِّ ﷺ «رأيتُ في المنام أني أهاجرُ من مكة إلى أرضٍ بها نخل، فذهبَ وَهَلي إلى أنها اليمامة أو هَجَر، فإذا هي المدينةُ يَثرِب»

٣٨٩٧ ـ عن الأعمشِ قال: سمعتُ أبا وائلٍ يقول: «عُدْنا خَبّاباً فقال هاجَرْنا مع النبيِّ ﷺ نُريد وجهَ الله، فوقعَ أجرُنا على الله، فمنّا مَن مضى لم يأخذْ من أجرِه شيئاً منهم مُصعَبُ ابن عُمير، قُتِل يومَ أُحُدٍ وتركَ نَمِرَةً، فكنّا إذا غطّينا بها رأسَهُ بَدَت رجلاهُ، وإذا غطّينا رجليهِ بدا رأسُه، فأمَرَنا رسولُ اللهِ ﷺ أن نُغطّيَ رأسَهُ ونجعل على رجلَيهِ شيئاً من إذخرٍ. ومنّا مَن أينَعتَ له ثمرتهُ فهوَ يَهدِبُها».

٣٨٩٨ ـ عن عَلقمةَ بن وَقّاصٍ قال: سمعتُ عمر رضيَ اللهُ عنه قال: «سمعتُ النبيَّ ﷺ أراه يقول: الأعمالُ بالنّيَّة، فمن كانت هجرتهُ إلى دُنيا يصيبها أو امرأةٍ يتزوَّجها، فهجرتهُ إلى ما هاجرَ إليه، ومن كانت هجرتهُ إلى الله ورسولهِ فهجرتهُ إلى اللهِ ورسولِهِ ﷺ».

٣٨٩٩ ـ عن مجاهدِ بن جَبرٍ المكيِّ «أنَّ عبدَ الله بن عمرَ رضيَ اللهُ عنهما كان يقول: لا هِجرةَ بعد الفتح».

[الحديث ٣٨٩٩ - أطرافه في: ٤٣٠٩، ٤٣١٠، ٤٣١١].

٣٩٠٠ ـ عن عطاءِ بن أبي رباحٍ قال: زُرتُ عائشةَ مع عبيدِ بنِ عميرٍ الليثي، فسألناها عن الهجرةِ فقالت: لا هجرةَ اليوم، كان المؤمنونَ يَفرُّ أحدُهم بدينهِ إلى اللهِ تعالى وإلى رسولهِ ﷺ مخافةَ أن يُفتَنَ عليه، فأما اليومَ فقد أظهرَ اللهُ الإسلام، واليومَ يعبُدُ ربَّهُ حيث شاء، ولكن جهادٌ ونيّة».

٣٨٩٠١ ـ عن عائشةَ رضيَ اللهُ عَنْهَا أن سعداً قال: اللهمَّ إنك تعلم أنه ليس أحدٌ أحبَّ إليَّ أن أجاهِدَهم فيك من قوم كذّبوا رسولك ﷺ وأخرجوه، اللهمَّ فإني أظنُّ أنك قد وضعتَ الحربَ بيننا وبينهم».

وقال أبانُ بن يزيدَ حدَّثنا هشامٌ عن أبيهِ أخبرَتني عائشةُ «من قومٍ كذّبوا نبيَّك وأخرجوهُ من قريش».

٣٩٠٢ـ عن ابن عباسٍ رضيَ اللهُ عنهما قال: «بُعثَ رسولُ الله ﷺ لأربعينَ سنةً، فمكثَ بمكةَ ثلاثَ عشرةَ سنةً يُوحى إليه، ثم أُمِرَ بالهجرَة فهاجر عَشرَ سنينَ، ومات وهو ابن ثلاثٍ وستين».

٣٩٠٣ ـ عن ابن عباسٍ قالَ: «مكثَ رسولُ اللهِ ﷺ بمكة ثلاث عشرةً، وتُوُفِّيَ وهو ابن ثلاثٍ وستين»

٣٩٠٤ ـ عن أبي سعيد الخُدريِّ رضي الله عنه «أنَّ رسولَ الله ﷺ جلسَ على المنبرِ فقال: إنَّ عبداً خيَّرَهُ اللهُ بين أن يُؤتيهُ من زهرةِ الدنيا ماشاء وبينَ ما عندَه، فاختار ما عندَه. فبكى أبو بكرٍ وقال: فدَيناكَ بآبائنا وأُمَّهاتِنا. فعجِبْنا لهُ. وقال الناسُ: انُظروا إلى هذا الشيخِ، يُخبرُ رسولُ اللهِ ﷺ عن عبدٍ خيَّرهُ اللهُ بين أن يُؤتيَه من زهرةِ الدنيا وبينَ ما عندَه ، وهو يقول: فدَيناكَ بآبائنا وأُمَّهاتنا، فكان رسولُ اللهِ ﷺ هوَ المخير، وكان أبو بكر هو أعلمُنا به. وقال رسولُ الله ﷺ: إنَّ من أمنِّ النّاسِ عليَّ في صُحبتهِ ومالهِ أبا بكرٍ، ولو كنتُ مُتَّخذاً خليلاً من أمتي لاتخذتُ أبا بكرٍ، إلا خُلَّةَ الإسلام، لا يَبقينَّ في المسجد خَوخةٌ إلا خَوخةُ أبي بكر»

قوله (باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة) أما النبي ﷺ فجاء عن ابن عباس أنه أذن له في الهجرة إلى المدينة بقوله تعالى: {وقل رب أدخلني مدخل صدق، وأخرجني مخرج صدق، واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا} أخرجه الترمذي وصححه هو والحاكم، وذكر الحاكم أن خروجه ﷺ من مكة كان بعد بيعة العقبة بثلاثة أشهر أو قريبا منها، وأما أصحابه فتوجه معه منهم أبو بكر الصديق وعامر بن فهيرة، وتوجه قبل ذلك بين العقبتين جماعة منهم ابن أم مكتوم، ويقال إن أول من هاجر إلى المدينة أبو سلمة بن عبد الأشهل المخزومي زوج أم سلمة، وذلك أنه أوذي لما رجع من الحبشة، فعزم على الرجوع إليها، فبلغه قصة الإثني عشر من الأنصار فتوجه إلى المدينة، ثم توجه مصعب بن عمير كما تقدم آنفا ليفقه من أسلم من الأنصار.

قوله (لا هجرة اليوم) أي بعد الفتح .

قوله (كان المؤمنون يفر أحدهم بدينه الخ) أشارت عائشة إلى بيان مشروعية الهجرة وأن سببها خوف الفتنة، والحكم يدور مع علته، فمقتضاه أن من قدر على عبادة الله في أي موضع اتفق لم تجب عليه الهجرة منه وإلا وجبت، ومن ثم قال الماوردي: إذا قدر على إظهار الدين في بلد من بلاد الكفر فقد صارت البلد به دار إسلام، فالإقامة فيها أفضل من الرحلة منها لما يترجى من دخول غيره في الإسلام، وقد تقدمت الإشارة إلى ذلك في أوائل الجهاد في «باب وجوب النفير» في الجمع بين حديث ابن عباس «لا هجرة بعد الفتح» وحديث عبد الله بن السعدي «لا تنقطع الهجرة» وقال الخطابي: كانت الهجرة أي إلى النبي ﷺ في أول الإسلام مطلوبة، ثم افترضت لما هاجر إلى المدينة إلى حضرته للقتال معه وتعلم شرائع

الدين، وقد أكد الله ذلك في عدة آيات حتى قطع الموالاة بين من هاجر ومن لم يهاجر فقال تعالى: {والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا} فلما فتحت مكة ودخل الناس في الإسلام من جميع القبائل سقطت الهجرة الواجبة وبقي الاستحباب. وقال البغوي في «شرح السنة»: يحتمل الجمع بينهما بطريق أخرى بقوله «لا هجرة بعد الفتح» أي من مكة إلى المدينة، وقوله «لا تنقطع» أى من دار الكفر في حق من أسلم إلى دار الإسلام، وقد أفصح ابن عمر بالمراد فيما أخرجه الإسماعيلي بلفظ «انقطعت الهجرة بعد الفتح إلى رسول الله ﷺ، ولا تنقطع الهجرة ما قوتل الكفار» أي مادام في الدنيا دار كفر، فالهجرة واجبة منها على من أسلم وخشي أن يفتن عن دينه، ومفهومه أنه لو قُدّر أن {لا} يبقى في الدنيا دار كفر أن الهجرة تنقطع لانقطاع موجبها والله اعلم، وقوله هنا (فهاجر عشر سنين) أي أقام مهاجرا عشر سنين.

٣٩٠٥ ـ عن عائشةَ رضي الله عنها زوجِ النبيِّ ﷺ قالت: «لم أعقلْ أبويَّ قطُّ إلا وهُمَا يَدينان الدِّين ولم يَمرَّ علينا يوم إلا يأتينا فيه رسولُ الله ﷺ طرَفَي النهارِ: بُكرةً وعَشيَّة. فلمَّا ابتُلي المسلمون، خرَجَ أبو بكرٍ مهاجراً نحو أرض الحبشة حتى بلغَ بَرْكَ الغماد لَقيَهُ ابن الدَّغِنَةِ -وسيِّدُ القارة- فقال: أين تُريدُ يا أبا بكر؟ فقال أبو بكر: أخرجَني قومي فأريدُ أن أسيحَ في الأرضِ وأعبُدَ ربي، قال ابنُ الدَّغِنَة: فان مثلكَ يا أبا بكر لا يَخرج ولا يُخرج، إنك تكسبُ المعدوم، وتَصِلُ الرحم، وتحمِلُ الكَلَّ، وتَقري الضَّيف، وتُعين على نوائبِ الحقِّ. فأنا لك جار، ارجعْ واعبُد ربَّك ببلدك. فرجع، وارتحلَ معهُ ابنُ الدَّغِنة، فطافَ ابنُ الدغنةِ عَشيَّةً في أشراف قُرَيش فقال لهم: إن أبا بكرٍ لا يَخرُج مثلُهُ ولا يُخرجَ، أتُخرجونَ رجلاً يكسبُ المعدوم، ويصِلُ الرَّحِم، ويَحملُ الكَلَّ، ويَقري الضيف، ويُعينُ على نَوائبِ الحقِّ؟ فلم تكذِّب قُريش بجوارِ ابنِ الدَّغِنة، وقالوا لابن الدَّغنة: مُرْ أبا بكرٍ فَلْيَعْبُد ربَّهُ في دارِه، فَلْيُصلِّ فيها وليَقرأْ ما شاءَ؛ ولا يؤذينا بذلك ولا يستعلنْ به، فإنا نخشى أن يَفتِنَ نساءنا وأبناءنا. فقال ذلك ابنُ الدَّغِنة لأبي بكر، فلَبِثَ أبو بكرٍ بذلك يعبُدُ ربهُ في دارِهِ ولا يَستعلِنُ بصلاتِه ولا يقرأُ في غير داره، ثم بدا لأبي بكر فابتنى مسجدا بفِناءِ دارِه وكان يُصلِّي فيه ويقرأ القرآن فيتقذَّفُ عليه نساء المشركينَ وأبناؤُهُمْ وهُمْ يَعجَبونَ منه وينظُرون إليه. وكان أبو بكرٍ رجُلاً بكَّاءً لا يملكُ عينيهِ إذا قرأَ القرآنَ؛ فأفزَعَ ذلكَ أشرافَ قريشٍ منَ المشركين، فأرسَلوا إلى ابنِ الدغنة، فقدِمَ عليْهِمْ، فقالوا: إنَّا كُنَّا أجَرنا أبا بكرٍ بجوارِكَ على أن يعبُدَ ربهُ في دارِه، فقد جاوَزَ ذلك فابتَنى مسجداً بفِناءِ دارِه فأعلنَ بالصلاةِ والقراءةِ فيه، وإنَّا قد خَشينا أن يفتِنَ نساءنا وأبناءنا، فانْهَهُ؛ فإن أحبَّ أن

يقتَصِرَ على أن يعبُدَ ربهُ في داره فعلَ، وإن أبى إلا أن يُعلِنَ بذلك فسَلْهُ أن يردَّ إليكَ ذمَّتَكَ، فإنّا قد كرهنا أن نُخفرك، ولسنا بمقرِّين لأبي بكرٍ الاستِعلان. قالت عائشة: فأتى ابنُ الدغنةِ إلى أبي بكرٍ فقال: قد علمتَ الذي عاقَدْتُ لك عليه، فإمّا ان تَقْتصرَ على ذلك وإما أن تَرجعَ إليَّ ذِمتي، فإني لا أحبُّ أن تَسمعَ العربُ أني أُخفرتُ في رجلٍ عقدتُ له. فقال أبو بكر: فإني أَردُّ إليك جوارك، وأرضَى بجوار اللهِ عزَّ وجلَّ. والنبيُّ ﷺ يومئذ بمكة، فقال النبيُّ ﷺ للمسلمين: إني أُريتُ دارَ هجرتِكم ذاتَ نخلٍ بينَ لابَتَين، وهما الحرَّتان، فهاجرَ من هاجرَ قِبَل المدينة، ورجعَ عامةُ من كان هاجرَ بأرضِ الحبشة إلى المدينة، وتجهَّزَ أبو بكرٍ قبل المدينة فقال لهُ رسولُ اللهِ ﷺ: على رِسْلك، فإني أرجو أن يُؤْذَنَ لي. فقال أبو بكر: وهل ترجو ذلك بأبي أنت؟ قال: نعم. فحبسَ أبو بكرٍ نفسَهُ على رسول الله ﷺ ليَصحبَه، وعلفَ راحلتين كانتا عندَه ورقَ السَّمُر -وهو الخَبط- أربعةَ أشهر، قال ابنُ شهابٍ قال عروةُ قالت عائشة: فبينما نحن يوماً جُلوسٌ في بيت أبي بكر في نحر الظهيرة قال قائلٌ لأبي بكر هذا رسول الله ﷺ متقنعاً -في ساعة لم يكن يأتينا فيها- فقال أبو بكر: فداء له أبي وأمي، والله ما جاءَ به في هذه الساعة إلا أمر. قالت: فجاء رسولُ اللهِ ﷺ فأستأذنَ، فأذِنَ لهُ، فَدَخَلَ. فقالَ النبيُّ ﷺ لأبي بكرٍ: أخرجَ مَن عندَك، فقال أبو بكر: إنما هم أهلك بأبي أنت يارسول الله، قال: فإني قد أُذِنَ لي في الخروج. فقال أبو بكر: الصحابة بأبي أنت يارسول اللهِ قال رسول الله ﷺ: نعم. قال أبو بكر: فُخذ بأبي أنت يارسول الله إحدَى راحلتيَّ هاتين قال: رسولُ اللهِ ﷺ: بالثمن. قالت عائشة: فجهَّزناهما أحثَّ الجِهاز، وصنَعْنا لهما سُفرةً في جرابٍ، فقطعَت أسماء بنتُ أبي بكرٍ قِطعةً من نِطاقها فربطَت به على فم الجراب، فبذلكَ سميت ذات النطاق. قالت: ثمَّ لحقَ رسولُ اللهِ ﷺ وأبو بكرٍ بغارٍ في جبل ثَور، فكَمنا فيه ثلاثَ ليال، يبيتُ عندَهما عبدُ الله بن أبي بكر وهو غلام شابٌّ ثَقِفٌ لَقِن، فيُدلجُ من عندهما بسَحَر، فيُصبح معَ قريشٍ بمكةَ كبائتٍ، فلا يَسمعُ أمراً يُكتادانِ به إلا وَعاهُ حتى يأتيَهما بخبر ذلك حين يَختلطُ الظلام، ويرعى عليهما عامر بن فُهَيرةَ مولى أبي بكر مِنحةً من غَنَم فيُريحها عليهما حينَ تذهبُ ساعةٌ من العِشاءِ فيبيتانِ في رِسلٍ -وهو لبن مِنحتِهما ورَضيفهما- حتى ينعِقَ بها عامرُ بنُ فهيرة بغَلَس، يفعلُ ذلك في كلِّ ليلةٍ من تلك الليالي الثلاث. واستأجرَ رسولُ اللهِ ﷺ وأبو بكر رجُلا من بني الدِّيل، وهو من بني عبدِ بن عدي هادياً خرِّيتا ،والخرِّيت الماهر بالهداية - قد غمس حلفاً في آل العاص بن وائل السهمي، وهو علي دين كفار قريش، فأمناهُ ، فدَفَعا إليه راحِلتَيهما، وواعداهُ غار ثورٍ بعد ثلاثِ ليال براحِلَتَيهما صبحَ ثلاث، وانطلقَ معهما عامرُ

بنُ فُهَيرةَ والدَّليل، فأخذَ بهم طريقَ السواحل».

قوله (لم أعقل أبوي) يعني أبا بكر وأم رومان.

قوله (يدينان الدين) أي يدينان بدين الإسلام.

قوله (فلما ابتلي المسلمون) أي بأذى المشركين لما حصروا بني هاشم والمطلب في شعب أبي طالب وأذن النبي ﷺ لأصحابه في الهجرة إلى الحبشة كما تقدم بيانه.

قوله (خرج أبو بكر مهاجرا نحو أرض الجشة) أي ليلحق بمن سبقه إليها من المسلمين، وقد قدمت أن الذين هاجروا إلى الحبشة أولا ساروا إلى جدة وهي ساحل مكة ليركبوا منها البحر الى الحبشة.

قوله (برك الغماد) موضع على خمس ليال من مكة إلي جهة اليمن.

قوله (وهو سيد القارة) وهي قبيلة مشهورة من بني الهُون.

قوله (أخرجني قومي) أي تسببوا في إخراجي.

قوله (فأريد أن أسيح) بالمهملتين؛ لعل أبا بكر طوى عن ابن الدغنة تعيين جهة مقصده لكونه كان كافرا، وإلا فقد تقدم أنه قصد التوجه إلى أرض الحبشة، ومن المعلوم أنه لا يصل إليها من الطريق التي قصدها حتى يسير في الأرض وحده زمانا فيصدق أنه سائح، لكن حقيقة السياحة أن لا يقصد موضعا بعينه يستقر فيه.

قوله (وأنا لك جار) أي مجير أمنع من يؤذيك.

قوله (فرجع) أي أبو بكر (وارتحل معه ابن الدغنة) وقع في الكفالة «وارتحل ابن الدغنة فرجع مع أبي بكر»

قوله (لا يَخرج مثله) أي من وطنه باختياره على نية الإقامة في غيره مع ما فيه من النفع المتعدي لأهل بلده (ولا يُخرج) أي ولا يخرجه أحد بغير اختياره للمعنى المذكور، واستنبط بعض المالكية من هذا أن من كانت فيه منفعة متعدية لا يمكن من الانتقال عن البلد إلى غيره بغير ضرورة راجحة.

قوله (فلم تكذب قريش) أي لم ترد عليه قوله في أمان أبي بكر.

قوله (فأفزع ذلك) أي أخاف الكفار لما يعلمونه من رقة قلوب النساء والشباب أن يميلوا إلى دين الإسلام.

قوله (نخفرك) أي نغدر بك.

قوله (مقرين[١] لأبي بكر الاستعلان) أي لانسكت عن الإنكار عليه للمعنى الذي ذكروه من الخشية على نسائهم وأبنائهم أن يدخلوا في دينه.

---

(١) رواية الباب "لسنا بمقرين" واليونينية توافق الشرح.

قوله (وأرضى بجوار الله) أي أمانه وحمايته، وفيه جواز الأخذ بالأشد في الدين، وقوة يقين أبي بكر.

قوله (والنبي ﷺ يومئذ بمكة) في هذا الفصل من فضائل الصديق أشياء كثيرة قد امتاز بها عمن سواه ظاهرة لمن تأملها.

قوله (على رسلك) بكسر أوله أي على مهلك، والرسل السير الرفيق.

قوله (فحبس نفسه) أي منعها من الهجرة .

قوله (في نحر الظهيرة) أي أول الزوال وهو أشد ما يكون في حرارة النهار، والغالب في أيام الحر القيلولة فيها.

قوله (هذا رسول الله متقنعا) أي مغطيا رأسه.

قوله (إنما هم أهلك) أشار بذلك إلى عائشة وأسماء كما فسره موسى بن عقبة، ففي روايته قال: «أخرج من عندك، قال: لا عين عليك، إنما هما ابنتاي».

قوله (إحدى راحلتي هاتين، قال[1] بالثمن) زاد ابن إسحق «قال: لا أركب بعيراً ليس هو لي، قال: فهو لك، قال: لا ولكن بالثمن الذي ابتعتها به، قال: أخذتها بكذا وكذا، قال: أخذتها بذلك، قال: هي لك» وفي حديث أسماء بنت أبي بكر عند الطبراني «فقال: بثمنها يا أبا بكر فقال: بثمنها إن شئت» ونقل السهيلي في «الروض» عن بعض شيوخ المغرب أنه سئل عن امتناعه من أخذ الراحلة مع أن أبا بكر أنفق عليه ماله، فقال: أحب أن لا تكون هجرته إلا من مال نفسه.

قوله (وصنعنا لهما سفرة في جراب) أي زادا في جراب.

قوله (ذات النطاق) النطاق ما يشد به الوسط.

قوله (قالت: ثم لحق رسول الله ﷺ وأبو بكر بغار في جبل ثور)، وقال الحاكم تواترت الأخبار أن خروجه كان يوم الإثنين ودخوله المدينة كان يوم الإثني، وذكر موسى بن عقبة عن ابن شهاب قال: فرقد علي على فراش رسول الله ﷺ يوري عنه، وباتت قريش تختلف وتأتمر أيهم يهجم على صاحب الفراش فيوثقه، حتى أصبحوا فإذا هم بعلي؛ فسألوه، فقال لا علم لي فعلموا أنه فر منهم، وذكر ابن إسحق نحوه وزاد «أن جبريل أمره لا يبيت على فراشه فدعا عليا فأمره أن يبيت على فراشه ويسجي ببرده الأخضر، ففعل، ثم خرج النبي ﷺ على القوم ومعه حفنة من تراب، فجعل ينثرها على رءوسهم وهو يقرأ يس إلى {فهم لا يبصرون}. وذكر أحمد من حديث ابن عباس بإسناد حسن في قوله تعالى {وإذ يمكر بك الذين كفروا} الآية، قال: «تشاورت قريش ليلة بمكة، فقال بعضهم إذا أصبح فأثبتوه بالوثاق، يريدون

---

(١) رواية الباب واليونينية "قال رسول الله ﷺ الثمن"

النبي ﷺ، وقال بعضهم: بل اقتلوه، وقال بعضهم: بل أخرجوه، فأطلع الله نبيه على ذلك فبات علي على فراش النبي ﷺ تلك الليلة، وخرج النبي ﷺ حتى لحق بالغار، وبات المشركون يحرسون علياً يحسبونه النبي ﷺ، يعني ينتظرونه حتى يقوم فيفعلون به ما اتفقوا عليه، فلما أصبحوا ورأوا عليا رد الله مكرهم فقالوا: أين صاحبك هذا؟ قال: لا أدري، فاقتصوا أثره، فلما بلغوا الجبل اختلط عليهم، فصعدوا الجبل فمروا بالغار فرأوا على بابه نسج العنكبوت فقالوا: لو دخل ههنا لم يكن نسج العنكبوت على بابه، فمكث فيه ثلاث ليال».

قوله (فكمنا فيه) أي اختفيا

قوله (ثقف) الحاذق، قوله (لقن) السريع الفهم

قوله (فيدلج) أي يخرج بسحر إلى مكة.

قوله (منحة) تقدم بيانها في الهبة[1]، وتطلق أيضا على كل شاة.

قوله (في رسل) اللبن الطري.

قوله (ورضيفهما) أي اللبن المرضوف أي التي وضعت فيه الحجارة المحماة بالشمس أو النار لينعقد وتزول رخاوته.

قوله (قد غمس) (حلفا) أي كان حليفا، وكانوا إذا تحالفوا غمسوا أيمانهم في دم أو خلوق أو في شيء يكون فيه تلويث فيكون ذلك تأكيداً للحلف.

٣٩٠٦ ـ عن عبدِ الرّحمنِ بن مالك المُدْلجيِّ -وهُوَ ابن أخي سُراقةَ بن مالك ابن جعشم- أن أباه أخبره أنه سمعَ سُراقةَ بن جُعشُمٍ يقول «جاءنا رُسُل كفّارِ قريشٍ يجعلونَ في رسولِ اللهِ ﷺ وأبي بكرٍ ديةَ كلِّ واحدٍ منهما لمن قَتلَهُ أو أسرَهَ. فبينما أنا جَالسٌ في مجلسٍ من مجالسِ قومي بني مُدلج إذا أقبلَ رجل منهم حتى قام علينا ونحن جُلوس فقال: يا سُراقة، إني قد رأيتُ آنفاً أسودةً بالساحلِ أراها محمداً وأصحابه. قال سُراقة: فعرفتُ أنهم هم، فقلت له: إنهم ليسوا بهم، ولكنَّكَ رأيتَ فلاناً وفلانا انطلقوا بأعيُنِنا، ثمَّ لبِثتُ في المجلسِ ساعةً، ثمَّ قمتُ فدخلتُ فأمرت جاريتي أن تخرُج بفرسي - وهي مِن وراءِ أكَمَة- فتَحبِسَها عليَّ وأخذتُ رُمحي فخرجتُ بهِ من ظهر البيت فخَططت بزُجِّه الأرضَ، وخَفَضْت عاليه، حتى أتيت فرَسي فركبتُها، فرفعتُها تقرِّب بي، حتى دنوتُ منهم، فعثَرَتْ بِي فرسي، فخررتُ عنها،فقُمتُ فأهوَيت يدي إلى كِنانتي فاستخرجتُ منها الأزلامَ، فاستَقسَمت بها: أضرُّهم أم لا؟ فخرج الذي أكره، فركبتُ فرسي - وعصيتُ الأزلامَ- تقرِّب بي، حتى إذا سمعتُ قراءةَ رسولِ اللهِ ﷺ وهُوَ لا يلتفِتُ، وأبو بكرٍ يُكثِرُ الالتِفاتَ، ساخَتْ يَدا فَرَسي

(١) كتاب الهبة باب / ٣٥ ح ٢٦٢٩ - ٢ / ٤٦٢

في الأرض حتى بَلغَتا الرُكْبَتين، فَخَررتُ عنها، ثم زجرتها، فنهضَت فلم تكَد تُخرجُ يدَيها، فَلَمَّا استَوتْ قائمةً إذا لأثر يدَيها عُثانٌ ساطعٌ في السماءِ مثلُ الدُّخان، فاستقسمتُ بالأزلام فخرجَ الذي أكرَه فنادَيتهم بالأمان، فوَقَفوا، فركِبْتُ فرسي حتى جئتهم. ووقعَ في نفسي حينَ لقيتُ مالقيتُ من الحبس عنهم أن سيَظهَرُ أمرُ رسولِ اللهِ ﷺ، فقلتُ له: إنَّ قومَكَ قد جعلوا فيكَ الدِّيَةَ. وأخبرتهم أخبار ما يُريدُ الناسُ بهم، وعرضتُ عليهم الزادَ والمتاعَ، فلم يَرْزَآني، ولم يسألاني إلا أن قال: أخفِ عنّا فسألتهُ إن يكتُبَ لي كتابَ أمنٍ، فأمرَ عامرَ بنَ فُهَيرةَ فكتبَ في رُقعةٍ من أدم، ثُمَّ مضى رسولُ الله ﷺ».

قالَ ابنُ شهابٍ: فأخبرَني عُروةُ بن الزُّبيرِ «أنَّ رسولَ الله ﷺ لقِبَ الزُّبَيْرَ في ركبٍ منَ المسلمين كانوا تجاراً قافلينَ من الشام، فكسا الزُّبيرُ رسولَ اللهِ ﷺ وأبا بكرٍ ثيابَ بَياض. وسمِعَ المسلمون بالمدينةِ مَخرجَ رسولِ اللهِ ﷺ من مكةَ، فكانوا يَغدونَ كلَّ غداةٍ إلى الحرَّةِ فيَنتظِرونه، حتى يردُّهم حرُّ الظهيرَةِ، فانقلبوا يوماً بعدَ ما أطالوا انتظِارَهم، فلما أوَوا إلى بيوتهم أوفى رجلٌ من يهودَ على أُطُمٍ من آطامهم لأمرٍ يَنظرُ إليه، فبصُرَ برسول الله وأصحابِه مُبيَّضينَ يَزولُ بهم السَّرابُ، فلم يملِكِ اليهوديُّ أن قالَ بأعلى صَوتِه: يا معاشرَ العرب، هذا جَدُّكم الذي تنتَظرون. فثار المسلمون إلى السلاحِ، فتلقَّوا رسولَ اللهِ ﷺ بظهرِ الحرة، فعدَلَ بهم ذاتَ اليَمينِ حتى نزلَ بهم في بني عمرو بن عوف، وذلكَ يومَ الإثنين من شهر ربيعِ الأول، فقام أبو بكرٍ للناس، وجلسَ رسولُ الله ﷺ صامتا، فطفِقَ من جاء مَن الأنصار ممن لم يَرَ رَسولَ اللهِ ﷺ - يُحيي أبا بكر، حتى أصابت الشمسُ رسولَ الله ﷺ فأقبَلَ أبو بكرٍ حتى ظلَّلَ عليه بردائِه، فعرفَ الناسُ رسولَ اللهِ ﷺ عندَ ذلك ، فَلَبِثَ رسولُ اللهِ ﷺ في بني عمرو بن عَوف بضعَ عشرةَ ليلة، وأُسِّسَ المسجدُ الذي أُسِّسَ على التقوى، وصلى فيه رسولُ الله ﷺ ، ثمَّ ركب راحلته، فسارَ يمشي معه الناسُ، حتى بَرَكَتْ عند مسجدِ الرسولِ ﷺ بالمدينة، وهُوَ يُصلّي فيه يومئذٍ رجالٌ منَ المسلمين، وكان مِربَداً للتمرِ لسهيلٍ وسهلٍ غلامَين يَتيمين في حَجْر سَعد بن زُرارةَ، فقال رسول الله ﷺ حين بَركت به راحلته: هذا إنْ شاءَ اللهُ المنزل. ثُمَّ دعا رسولُ اللهِ ﷺ الغُلامَين فساوَمَهما بالمِربَدِ ليتَّخذَهُ مسجداً، فقالا: لا، بل نهَبُهُ لك يارسولَ الله، فأبى رسولُ اللهِ ﷺ أن يَقبلَهُ منهما هِبةً حتى ابتاعَهُ منهما، ثمَّ بناهُ مسجداً، وطَفِقَ رسولُ اللهِ ﷺ ينقل معَهمُ اللبِنَ في بُنيانهِ ويقول: وهوَ ينقلُ اللبن:

هذا الحِمالُ لا حِمالَ خَيبر ... هذا أبرُّ ربنا وأطهر

ويقول : اللهم إن الأجر أجرُ الآخرةْ ... ارحَم الأنصارَ والمهاجرَة

فتمثلَ بشعر رجُل من المسلمين لم يُسَمَّ لي

قال ابنُ شهاب: ولم يَبْلغْنا - في الأحاديث - أن رسولَ الله ﷺ تمثلَ ببيتِ شعرٍ تام غير هذهِ الأبيات

٣٩٠٧ ـ عن هشامٍ عن أبيهِ وفاطمةَ عن أسماءَ رضيَ الله عنها «صنعتُ سُفرةً للنبيِّ ﷺ وأبي بكرٍ حينَ أرادا المدينةَ، فقلتُ لأبي: ما أجِد شيئاً أربطه إلا نطاقي، قال: فشُقِّيهِ، ففعلتُ، فسمِّيتُ ذاتَ النِّطاقَين».

وقالَ ابن عباس «أسماءُ ذات النِّطاق»

٣٩٠٨ ـ عن البَراء رضيَ اللهُ عنه قال: «لما أقبلَ النبي ﷺ إلى المدينة تَبِعَهُ سُراقة بن مالك بن جُعشُم، فدَعا عليهِ النبيُّ ﷺ فساخَتْ به فرسُهُ. قال: ادعُ اللهَ لي ولا أضرُّك، فدعا له، قال فعطِشَ رسولُ الله ﷺ فمرَّ براعٍ، قالَ أبو بكر: فأخذتُ قدحًا فحلبتُ فيه كُثْبةً من لبَن فشرِبَ حتى رَضيت».

قوله (دية كل واحد) أي مائة من الإبل.

قوله (رأيت آنفا) أي في هذه الساعة.

قوله (أسودة) أي أشخاصا.

قوله (بزجه) الحديدة التي في أسفل الرمح

قوله (وخفضت) أي أمسكه بيده وجر زجه على الأرض فخطها به لئلا يظهر بريقه لمن بعد منه، لأنه كره أن يتبعه منهم أحد فيشركوه في الجعالة.

قوله (ساخت) أي غاصت.

قوله (عثان) أي دخان وذكر أبو عبيد في غريبه قال: وإنما أراد بالعثان الغبار نفسه، شبه غبار قوائمها بالدخان.

قوله (فلم يرزآني) أي لم ينقصاني مما معي شيئاً

قوله (أوفى رجل من يهود) أي طلع إلى مكان عال فأشرف منه، هو الحصن، ويقال: كان بناء من حجارة كالقصر.

قوله (فقام أبو بكر للناس) أي يتلقاهم.

قوله (فطفق) أي جعل (من جاء من الأنصار ممن لم ير رسول الله ﷺ يُحَيي أبا بكر) أي يسلم عليه.

قلت: ظاهر السياق يقتضي أن الذي يحيي ممن لا يعرف النبي ﷺ يظنه أبابكر فلذلك يبدأ بالسلام عليه، ويدل عليه قوله في بقية الحديث «فأقبل أبو بكر يظلل عليه بردائه، فعرف الناس رسول الله ﷺ».

قوله (وأسس المسجد الذي أسس على التقوى) أي مسجد قباء وروى ابن أبي شيبة عن

جابر قال: «لقد لبثنا بالمدينة قبل أن يقدم علينا رسول الله ﷺ بسنين نعمر المساجد ونقيم الصلاة» وقد اختلف في المراد بقوله تعالى: {لمسجد أسس على التقوى من أول يوم} فالجمهور على أن المراد به مسجد قباء هذا وهو ظاهر الآية.

وروى مسلم من طريق عبد الرحمن بن أبي سعيد عن أبيه «سألت رسول الله ﷺ عن المسجد الذي أسس على التقوى فقال: هو مسجدكم هذا» ولأحمد والترمذي من وجه آخر عن أبي سعيد «اختلف رجلان في المسجد الذي أسس على التقوى فقال أحدهما: هو مسجد النبي ﷺ، وقال الآخر: هو مسجد قباء، فأتيا رسول الله ﷺ فسألاه عن ذلك فقال: هو هذا، وفي ذلك -يعني مسجد قباء خير كثير»، قال الداودي وغيره: ليس هذا اختلافا، لأن كلا منهما أسس على التقوى

قوله (ثم ركب راحلته)، وعند الحاكم من طريق إسحاق بن أبي طلحة عن أنس «جاءت الانصار فقالوا إلينا يا رسول الله، فقال: دعوا الناقة فإنها مأمورة، فبركت على باب أبي أيوب».

قوله (حتى بركت عند مسجد الرسول ﷺ بالمدينة) في حديث البراء عن أبي بكر «فتنازعه القوم أيهم ينزل عليه فقال: إني أنزل على أخوال عبد المطلب أكرمهم بذلك» وعند ابن عائذ عن الوليد بن مسلم وعند سعيد بن منصور كلاهما عن عطاف بن خالد «أنها استناخت به أولا فجاءه ناس فقالوا: المنزل يا رسول الله، فقال دعوها، فانبعثت حتى استناخت عند موضع المنبر من المسجد، ثم تحلحلت فنزل عنها، فأتاه أبو أيوب فقال: إن منزلي أقرب المنازل فأذن لي أن أنقل رحلك، قال: نعم، فنقل وأناخ الناقة في منزله» وذكر ابن سعد أن أبا أيوب لما نقل رحل النبي ﷺ إلى منزله قال النبي ﷺ «المرء مع رحله» وأن سعد بن زرارة جاء فأخذ ناقته فكانت عنده، قال وهذا أثبت.

قوله (وكان) أي موضع المسجد (مربدا) هو الموضع الذي يجفف فيه التمر. وقال الأصمعي: المربد كل شيء حبست فيه الإبل أو الغنم.

قوله (وطفق رسول الله ﷺ) أي جعل (ينقل معهم اللبن) أي الطوب المعمول من الطين الذي لم يحرق، وفي الحديث جواز قول الشعر وأنواعه خصوصا الرجز في الحرب، والتعاون على سائر الأعمال الشاقة، لما فيه من تحريك الهمم وتشجيع النفوس وتحركها على معالجة الأمور الصعبة.

٣٩٠٩ ـ عن أسماء رضي الله عنها أنها حملت بعبدِ اللهِ بن الزُّبيرِ، قالت: فخرجتُ وأنا مُتِمٌّ، فأتيتُ المدينةَ، فنزلتُ بقُباءَ فولَدتهُ بقباء، ثمَّ أتيتُ به النبيَّ ﷺ فوَضعتُهُ في حَجْرِهِ، ثمَّ دعا بتمرةٍ فمضَغَها ثُمَّ تفلَ في فيه، فكان أولَ شيءٍ دخلَ جَوفَهُ ريقُ رسولِ اللهِ

ﷺ، ثمَّ حَنَّكَهُ بتمرةٍ، ثمَّ دعا له وبَرَّكَ عَلَيْهِ، وكانَ أولَ مولود وُلِدَ في الإسلام».

وعن أسماء رضي الله عنها «أنها هاجرت إلي النبي ﷺ وهي حبلى»

[الحديث ٣٩٠٩ - طرفه في: ٥٤٦٩]

٣٩١٠ - عن عَائِشَةَ رضيَ اللَّهُ عَنْهَا قالَتْ: «أولُ مولودٍ وُلِدَ في الإسلام عبدُ الله بن الزُّبير. أتوا به النبيَّ ﷺ، فأخذَ النبيُّ ﷺ تمرةً فلاكَها، ثمَّ أدخلها في فيهِ، فأولُ ما دخلَ بطنَهُ ريقُ النبيِّ ﷺ».

الحديث السابع عشر حديث أسماء بنت أبي بكر أنها حملت بعبد الله بن الزبير يعني بمكة.

قوله (وأنا متم) أي قد أتممت مدة الحمل الغالبة وهي تسعة أشهر، ويطلق «متم» أيضاً على من ولدت لتمام.

قوله (ثم حنكه) أي وضع في فيه التمرة، ودلك حنكه بها.

قوله (وبرك عليه) أي قال بارك الله فيه، أو اللهم بارك فيه.

قوله (وكان أول مولود ولد في الإسلام) أي بالمدينة من المهاجرين، فأما من ولد بغير المدينة من المهاجرين فقيل عبد الله بن جعفر بالحبشة؛ وأما من الأنصار بالمدينة فكان أول مولود ولد لهم بعد الهجرة مسلمة بن مخلد كما رواه ابن أبي شيبة وقيل النعمان بن بشير. وفي الحديث أن مولد عبد الله بن الزبير كان في السنة الأولى وهو المعتمد.

٣٩١١ - عن أَنَسِ بنِ مَالِكٍ رضيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: «أقبلَ نبيُّ الله ﷺ إلى المدينة وهوَ مُردِفٌ أبا بكر، وأبو بكر شيخ يُعرَف ونبي الله ﷺ شابٌ لا يُعرَف. قال فَيلقى الرجلُ أبا بَكْر فيقولُ: يا أبا بكر مَنْ هذا الرجل الَّذِي بَيْنَ يَدَيْكَ؟ فَيقولُ: هَذَا الرَّجُل يَهديني السبيل، قالَ فيحسِبُ الحاسبُ أنهُ إنما يَعني الطريقَ، وإنما يعني سبيل الخير. فالتفتَ أبو بكر فإذا هُوَ بفارسٍ قد لَحِقهم، قال: يارسولَ اللهِ، هذا فارسٌ قد لحقَ بنا، فالتفتَ نبيُّ الله ﷺ فقال: اللَّهُمَّ اصرَعْهُ؛ فصرعه الفرَس، ثم قامت تُحمحمُ، فقال: يا نبيَّ الله مرني بِمَا شِئْتَ.قال فقِفْ مكانَكَ، لا تَتْرُكَنَّ أحداً يَلحقُ بنا. قال فكان أوَّلَ النهار جاهداً على نبيِّ اللهِ ﷺ، وكانَ آخرَ النَّهار مَسْلحةً له فنزَل رسولُ اللهِ ﷺ جانبَ الحرَّة، ثُمَّ بَعَثَ إلى الأنصار فَجَاءوا إلى نبيِّ الله ﷺ وأبي بكر فسلَّموا عليهما وقالوا: اركبا آمنين مُطاعَين. فركبَ نبيُّ اللهِ ﷺ وأبو بكرٍ وحَفُّوا دونَهما بالسلاح، فقيل في المدينة: جاءَ نبيُّ الله، جاءَ نبي الله ﷺ، فأشرَفوا ينظرونَ ويقولون: جاء نبيُّ اللهِ. فأقبلَ يسيرُ حتي نزل جانب دارِ أبي أيوب، فإنَّهُ ليحدث أهله إذ سَمِعَ بِهِ عَبْدُ الله بن سلام وهُوَ فِي نخلٍ لأهلِهِ يَختَرِفُ لهم، فَعَجِلَ أن يَضعَ الذي يَختَرِف لهم فيها، فجاءَ وهيَ معَهُ، فسمعَ من نبيِّ اللهِ

ﷺ ثُمَّ رجَعَ إلى أهْلِهِ، فقالَ نبيُّ اللهِ ﷺ: أيُّ بيوتِ أهلِنا أقربُ؟ فقال أبو أيوب: أنا يا نبيَّ اللهِ، هذهِ داري وهذا بابي. قال: فانطلِقْ فهيِّءْ لنا مَقيلا، قالَ: قُومَا على بركةِ اللهِ. فلما جاء نبيُّ اللهِ ﷺ جاءَ عبْدُ اللهِ بنِ سلامٍ فقال: أشهدُ أنكَ رسولُ اللهِ، وأنكَ جئتَ بحقّ، وقد علمتْ يهودُ أني سيِّدُهم وابنُ سيدِهم وأعلمُهم وابنُ أعلمِهم، فادعُهم فاسألهم عني قبلَ أن يعلموا أني قد أسلمت، فإنهم إن يعلموا أني قد أسلمت قالوا فيَّ ما ليسَ فِيَّ فأرْسل نبيُّ الله ﷺ فأقبلوا فدخلوا عليه، فقال لهُمْ رسول الله ﷺ: يا مَعشَرَ اليهود، ويْلكم اتقوا اللهَ، فو اللهِ الذي لا إلهَ إلاّ هوَ إنكم لتعلمونَ أني رسولُ الله حقًا، وأني جئتكم بحق، فأسلِموا. قالوا: ما نَعلمه -قالوا للنبيِّ ﷺ قالها ثلاثَ مرار - قالَ: فَأيُّ رجل فيكم عَبْدُ الله بن سَلام؟ قالوا: ذاك سيدُنا وابنُ سيدنا، وأعلمُنا وابنُ أعلمنا. قال: أفرأيتم إن أسلَم؟ قالوا: حاشا للّه ما كانَ ليُسلِمَ. قالَ: أفرأيتم إن أسلم؟ قالوا حاشا للهِ ما كانَ ليُسلِمَ. قالَ: أفرأيتم إن أسلم؟ قالوا: حاشا الله ما كانَ ليُسلِمَ. قالَ: يا ابنَ سَلام اخرُجْ عليهم. فخرج، فقالَ: يا معشرَ اليهود، اتقوا الله، فوَ اللهِ الّذي لا إلهَ إلا هُوَ إنَّكُمْ لتعلمون أنه رسولُ الله، وأنه جاء بحق. فقالوا: كذبت، فأخرجهم رسولُ اللهِ ﷺ».

قوله (وأبوبكر شيخ) يريد أنه قد شاب، وقوله «يعرف» أي لأنه كان يمر على أهل المدينة في سفر التجارة، بخلاف النبي ﷺ في الأمرين، فإنه كان بعيد العهد بالسفر من مكة، ولم يشب وإلا نفي نفس الأمر كان هو عليه الصلاة والسلام أسنّ من أبي بكر.

قوله (ونبي الله شاب لا يعرف)، وأما أبو بكر فثبت في صحيح مسلم عن معاوية أنه عاش ثلاثاً وستين سنة، وكان قد عاش بعد النبي ﷺ سنتين وأشهرا فيلزم على الصحيح في سن أبي بكر أن يكون أصغر من النبي ﷺ بأكثر من سنتين.

قوله (يهديني السبيل)

بين سبب ذلك ابن سعد في رواية له «أن النبي ﷺ قال لأبي بكر: إلهِ الناس عني، فكان إذا سئل من أنت قال: باغي حاجة، فإذا قيل: من هذا معك؟ قال: هاد يهديني».

يريد الهداية في الدين ويحسبه الآخر دليلا.

قوله (فهيء لنا مقيلاً) أي مكانا تقع فيه القيلولة.

٣٩١٢ ـ عن عُمَرَ بنِ الخطاب رضيَ اللهُ عنهُ قالَ: «كانَ فرَضَ للمهاجرين الأوَّلين أربعة آلاف في أربعة، وفَرضَ لابن عمرَ ثلاثة آلاف وخمسَمائةٍ. فقيل له: هو منَ المهاجرين، فلم نَقَصتَه من أربعةِ آلاف؟ فقال: إنما هاجرَ به أبَواه. يقول: ليس هوَ كَمن هاجرَ بنفسه».

٣٩١٣ ـ عن خبّابٍ قال: «هاجرنا معَ رسولِ اللهِ ﷺ....» ح

٣٩١٤ ـ عن خبّابٍ قالَ «هاجرنَا مَعَ رسولِ اللهِ ﷺ نَبْتَغِي وَجْهَ اللهِ ووجَبَ أجرُنا

على الله، فمنا مَن مضى لم يأكلْ من أجرِهِ شيئاً، منهم مُصعَبُ بن عُمير قُتِلَ يومَ أُحُد فلم نجدْ شيئاً نكفنهُ فيه إلا نَمرةً كنّا إذا غطّينا بها رأسَهُ خرجَت رجلاه، فإذا غطينا رجليهِ خرَجَ رأسُه، فأمرَنا رسولُ اللهِ ﷺ أن نُغطيَ رأسَهُ بها، ونجعلَ على رجليه من إذخِر. ومنّا من أينَعَت له ثمرته فَهُوَ يَهدِبُها».

٣٩١٥ ـ عن ابن أبي مُوسَى الأشعَرِيِّ قالَ: «قالَ لِي عَبْدُ اللهِ بن عمر: هل تدري ما قال أبي لأبيك؟ قال قلت: لا. قالَ: فإن أبي قالَ لأبيك: يا أبَا موسى، هل يسُرُّكَ إسلامُنا مَعَ رسولِ اللهِ ﷺ وَهجرتُنَا مَعَهُ وجهادُنا معه وعملُنا كلهُ معهُ بَرَد لنا، وأنَّ كلَّ عملٍ عمِلناهُ بعدَهُ نَجونا منه كَفافاً رأساً برأس؟ فقال أبي: لا واللهِ، قد جاهَدنا بعدَ رسولِ اللهِ ﷺ وصَلّينا وصُمنا وعَمِلنا خيراً كثيراً وأسلمَ على أيدينا بَشَرٌ كثيرٌ، وأنا لنَرجو ذلك. فقال أبي: لكنّي أنا والذي نفسُ عمرَ بيده لوددتُ أن ذلكَ بَرَدَ لنا وأن كلَّ شيء عملناهُ بعدُ نَجَونا منه كَفافاً رأساً برأس. فقلتُ: إنَّ أباكَ واللهِ خيرٌ من أبي».

قوله (بَرَد لنا) أي ثبت لنا ودام.

قوله (فقلت) القائل هو أبو بردة، وخاطب بذلك ابن عمر فأراد أن عمر خير من أبي موسى، وأراد من الحيثية المذكورة وإلا فمن المقرر أن عمر أفضل من أبي موسى عند جميع الطوائف، لكن لا يمتنع أن يفوق بعض المفضولين بخصلة لا تستلزم الأفضلية المطلقة، ومع هذا فعمر في هذه الخصلة المذكورة أيضاً أفضل من أبي موسى، لأن مقام الخوف أفضل من مقام الرجاء، فالعلم محيط بأن الآدمي لا يخلو عن تقصيرٍ ما في كل ما يريد من الخير، وإنما قال عمر ذلك هضما لنفسه، وإلا فمقامه في الفضائل والكمالات أشهر من أن يذكر.

٣٩١٦ ـ عن أبي عثمان قالَ «سَمِعْتُ ابنَ عُمَرَ رضيَ اللهُ عَنْهُمَا إذَا قِيلَ لَهُ هَاجَرَ قَبْلَ أبيهِ يغضبُ. قال: وقدِمتُ أنا وعمرُ على رسول اللهِ ﷺ فَوَجدناهُ قائلاً فرجَعنا إلى المنزل، فأرسلني عُمرُ وقال: اذهَبْ فانظرْ هلِ استيقظَ؟ فأتيتُهُ فدخلتُ عليهِ فبايعتهُ، ثُمَّ انطلقتُ إلى عمرَ فأخبرتهُ أنه قدِ استيقظ، فانطلَقْنَا إليهِ نُهَرْوِلُ هَروَلةً حتى دَخَلَ عَلَيْهِ فَبَايعَهُ، ثمَّ بايعتُه»

[الحديث ٣٩١٦ - طرفاه في: ٤١٨٦، ٤١٨٧]

٣٩١٧ ـ عن أبي إسحاقَ قالَ: «سمعتُ البراءَ يحدِّث قال: ابتاعَ أبو بكرٍ من عازبٍ رحْلاً» فحملته معه. قال: فسألهُ عازبٌ عن مَسِير رسول اللهِ ﷺ، قالَ: أُخِذَ علينا بالرَّصَدِ، فخَرجنا ليلاً، فأحثَثْنا ليلتَنا ويومَنا حتّى قامَ قائمُ الظهيرةِ، ثمَّ رفعت لنا صخرة، فأتَيْنَاهَا ولَهَا شيء من ظِل. قال: ففرَشتُ لرسولِ اللهِ ﷺ فروَةً معي، ثُمَّ اضطجَعَ عليها النبيُّ ﷺ، فانطلَقْتُ أنفُضُ ماحولَهُ، فإذا أنا براعٍ قد أقبلَ في غنيمةٍ يُريدُ من الصخرةِ

مثلَ الذي أرَدْنا، فسألتهُ: لِمَنْ أنتَ يا غلامُ؟ فقال: أنا لفلان. فقلتُ له: هَلْ فِي غنمكَ مِنْ لبَن؟ قال: نعم. فقلتُ له: هل أنتَ حالبٌ؟ قال: نعم. فأخَذَ شاةً من غَنمه، فقلتُ له: انْفض الضَّرعَ، قال فحلبَ كُثْبةً من لبنٍ، ومعي إداوَةٌ من ماء عليها خرقة قد رَوَّأتها لرسولِ اللهِ ﷺ، فصببَتُ على اللبنِ حتى بَرَدَ أسفَلهُ، ثمَّ أتيتُ بهِ النبيَّ ﷺ فقلتُ: اشرَبْ يارسولَ اللهِ. فشرِبَ رسولُ اللهِ ﷺ حتَّى رضَيتُ، ثُمَّ ارتحلْنا والطلبُ في إثرِنا».

٣٩١٨ - قالَ البراءُ: فدخلتُ مع أبي بكرٍ على أهلهِ، فإذَا عائشةُ ابنتُه مُضْطجعة قد أصابَتْها حُمّى، فرأيتُ أباها يُقبِّلُ خَدَّها وقال: كيفَ أنتِ يا بنيَّة».

قوله (إذا قيل له هاجر قبل أبيه يغضب) يعني أنه لم يهاجر إلا صحبة أبيه كما تقدم.

قوله (قدمت أنا وعمر على رسول الله ﷺ) يعني عند البيعة، ولعلها بيعة الرضوان.

قوله (نهرول) الهرولة ضرب من السير بين المشي على مهل والعدْو.

قوله (قال البراء: فدخلت مع أبي بكر على أهله فإذا بنته عائشة مضطجعة قد أصابتها حمى، فرأيت أباها يقبل خدها وقال كيف أنت يا بنية) كان دخول البراء على أهل أبي بكر قبل أن ينزل الحجاب قطعا، وأيضا فكان حينئذ دون البلوغ وكذلك عائشة.

٣٩١٩ - عن أنَسٍ خادمِ النبي ﷺ قالَ: «قَدِمَ النبيُّ ﷺ وليس في أصحابِهِ أشمَطُ غَيرَ أبي بكر، فَغَلَفَها بالحِنَّاءِ والكَتَم»

[الحديث ٣٩١٩ - طرفه في: ٣٩٢٠]

٣٩٢٠ - عن أنَسِ بن مالكٍ رضيَ اللّهُ عنْهُ قالَ: «قَدِمَ النبيُّ ﷺ المدينةَ فكانَ أسنَّ أصحابِهِ أبو بكرٍ فغَلَفَها بالحنّاء والكتَم حتى قَنَأ لونُها».

٣٩٢١ - عن عائشَةَ رضيَ اللّهُ عَنْهَا « أن أبَا بَكرٍ رضيَ اللّهُ عنْهُ تَزَوَّجَ امرأةً من كلبٍ يقال لها أمُّ بكرٍ، فلما هاجَرَ أبو بكرٍ طلَّقَها فتزوَّجها ابن عمِّها هذا الشاعرُ الذي قال هذه القصيدةَ رثى كُفَّارَ قرَيش:

وماذا بالقَليب قليب بــدرٍ ... من الشِّيزَى تُزَيَّنُ بالسَّنام

وماذَا بالقَليب قليبِ بــدرٍ ... منَ القَيناتِ والشَّربِ الكرام

تحَيِّينا الســلامةَ أمُّ بكـر ... هل لي بعدَ قَوْمي من سَلام

يُحدِّثُنا الرسولُ بأنْ سنحْيا ... وكيف حياة أصـــداءٍ وهام

٣٩٢٢ - عن أبي بكرٍ رضيَ اللّهُ عَنْهُ قالَ «كُنْتُ مَعَ النبيِّ ﷺ فِي الغَارِ، فرفعت رأسي فإذَا أنَا بأقدام القَومِ، فقلت: يا نبيَّ اللّه لَوْ أن بَعْضَهُمْ طَأطأ بصرَهُ رآنا. قال: اسكُتْ يا أبا بكر، اثنانِ اللّهُ ثالثُهما».

٣٩٢٣ - عن أبي سعيدٍ رضيَ اللّهُ عَنْهُ قالَ: «جاءَ أعرابيٌّ إلى النبيِّ ﷺ فسألَهُ عَنِ

الهجرةَ، فقالَ: ويحَكَ، إنَّ الهجرةَ شأنها شديد، فهل لك من إبل؟ قال: نعم. قالَ فَتُعطي صدقتَها؟ قال: نَعَم. قال: فهل تَمنحُ منها؟ قال: نعم. قال: فتحلِبُها يومَ ورودِها؟ قال: نعم. قال: فاعمل من وراء البحار، فإنَّ اللّه لن يَترِكَ من عملك شيئاً».

قوله (فغلفها) أي خضبها، والمراد اللحية.

قوله (والكتم) ورق يخضَّب به كالآس من نبات ينبت في أصغر الصخور فيتدلى خيطانا لطافا، ومجتناه صعب ولذلك هو قليل.

قوله (فكان أسن أصحابه أبو بكر) أي الذين قدموا معه حينئذ وقبله كما تقدم.

قوله (حتى قنأ) أي اشتدت حمرتها.

قوله (رثى كفار قريش) يعني يوم بدر لما قتلوا وألقاهم النبي ﷺ في القليب، وهي البئر التي لم تطو.

قوله (من الشيزي) وهو شجر يتخذ منه الجفان والقصاع الخشب التي يعمل فيها الثريد.

كأنه قال: ماذا بالقليب من أصحاب الجفان الملأى بلحوم أسنمة الإبل، وكانوا يطلقون على الرجل المطعام «جفنة» لكثرة إطعامه الناس فيها.

قوله (القينات) جمع قينة هي المغنية.

قوله (أصداء) أراد الشاعر إنكار البعث بهذا الكلام كأنه يقول: إذا صار الإنسان كهذا الطائر كيف يصير مرة أخرى إنسانا.

٤٦ ـ باب مَقْدَمِ النبيِّ ﷺ وأصحابِه المدينةَ

٣٩٢٤ ـ عن البراءِ رضيَ اللّهُ عَنْهُ قالَ: «أولُ من قَدِمَ علَينا مُصعَبُ بن عُمير وابن أمِّ مكتومٍ. ثمَّ قَدِمَ علَيْنا عَمّارُ بن ياسرٍ وبلالٌ رضيَ اللّهُ عَنْهُمْ».

٣٩٢٥ ـ عن البراءِ بنِ عازبٍ رضيَ اللّه عنهما قالَ: «أوَّلُ من قدِمَ علينا مُصعَبُ بن عُمير وابنُ أمِّ مكتومٍ وكانوا يُقرِئونَ النّاسَ، فقدِمَ بلال وسعد وعمّارُ بن ياسرٍ. ثمَّ قدِمَ عمَرُ بن الخطّابِ في عشرينَ من أصْحاب النبيِّ ﷺ، ثُمَّ قدمَ النبيُّ ﷺ، فَمَا رأيتُ أهل المدينةِ فرحوا بشيءٍ فرحَهم برسولِ اللّه ﷺ، حتّى جَعَلَ الإماءُ يَقُلْنَ: قَدِمَ رسولُ اللّه ﷺ، فما قَدِمَ حتّى قرأتُ {سبِّحِ اسمَ ربِّك الأعلى} في سُوَرٍ منَ المفصَّل».

قوله (فما قدم حتى حفظت[1] سبح اسم ربك الأعلى في سورة من المفصل) أي مع سور ومقتضاه أن {سبح اسم ربك الأعلى} مكية، وفيه نظر لأن ابن أبي حاتم أخرج من طريق حيدة أن قوله تعالى {قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى} نزلت في صلاة العيد وزكاة الفطر، وسنده حسن. وكل منهما شرع في السنة الثانية، فيمكن أن يكون نزول هاتين منها وقع

(١) في رواية الباب واليونينية "حتى قرأتُ".

بالمدينة. وأقوى منه أن يتقدم نزول السورة كلها بمكة، ثم بين النبي ﷺ أن المراد «بصلى» صلاة العيد ويتزكى زكاة الفطر، فإن تأخير البيان عن وقت الخطاب جائز والجواب عن الإشكال من وجهين: أحدهما احتمال أن تكون السورة مكية إلا هاتين الآيتين، وثانيهما -وهو أصحهما- فيه يجوز نزولها كلها بمكة. ثم بين النبي ﷺ المراد بقوله {قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى} صلاة العيد وزكاة الفطر، فليس من الآية إلا الترغيب في الذكر والصلاة من غير بيان للمراد، فبينته السنة بعد ذلك.

٣٩٢٦ ـ عن عائِشَةَ رضيَ اللّهُ عَنْها أنها قالت: «لما قدمَ رسولُ اللّهِ ﷺ المدينة وُعِكَ أبو بكر وبلالٌ. قالت: فدخلتُ عليهما فقلت يا أبتِ كيف تَجِدُك؟ ويا بلال كيفَ تجدُك؟ قالت: فكان أبوبكرٍ إذا أخَذَتهُ الحمَّى يقول:

كلُّ امريءٍ مُصبَّحٌ في أهلِهِ والموتُ أدنى من شِراكِ نعلِه.

وكان بلالٌ إذا أقلعَ عنهُ الحمَّى يَرفَعُ عقيرتَه ويقول:

ألا ليت شِعري هـل أبيتَنَّ ليلةً بوادٍ وحولي إذخِرٌ وجليـــلُ

وهل أرِدَنْ يَوماً مياهَ مِجَنَّــةٍ وهل يبدُوَنَ لي شامةٌ وطفيلُ

قالت عائشةُ: فجئتُ رسولَ اللّهِ ﷺ فأخبرتهُ، فقال: اللّهُمَّ حَبِّبْ إلينا المدينةَ كحُبِّنا مكةَ أو أشدَّ، وصحِّحْها، وباركْ لنا في صاعِها ومُدِّها، وانقُلْ حُمَّاهَا فاجعَلْها بالجحْفَة».

قوله (قدمنا[1] المدينة) في رواية أبي أسامة عن هشام «وهي أوبأ أرض الله» وفي رواية محمد بن إسحق عن هشام بن عروة نحوه وزاد «قال: هشام وكان وباؤها معروفا في الجاهلية، وكان الإنسان إذا دخلها وأراد أن يسلم من وبائها قيل له انهق، فينهق كما ينهق الحمار.

قوله (وعك) أي أصابه الوعك وهي الحمى.

٣٩٢٧ ـ عن عروة بن الزبير أن عُبيدَ الله بنَ عَديٍّ بن الخِيار أخبرَهُ قال «دخلتُ على عثمانَ، فتشهَّدَ ثم قال: أما بعدُ فإن الله بعثَ محمداً ﷺ بالحقّ، وكنتُ ممن استجابَ للّهِ ورسولهِ وآمنَ بما بُعِثَ به محمدٌ ﷺ ثم هاجَرتُ هجرتين ، وكنتُ صِهرَ رسولِ اللّه ﷺ ، وبايعتُه، فو اللّه ما عَصيتُهُ ولاغشَشتُه حتّى توفاه اللّه»

٣٩٢٨ ـ عن ابن شهابٍ قال أخبرَني عُبَيدُ اللّه بن عبدِ اللّهِ أن ابن عبَّاسٍ أخبرهُ «أن عبدالرحمنِ بنَ عوف رجعَ إلى أهلهِ وهو بمنىً في آخر حجة حَجها عمر، فوجَدَني فقال: عبد الرحمن. فقلتُ يا أميرَ المؤمنين إن الموسمَ يجمعُ رَعاعَ الناس وغوغاءهم، وإني أرَى أن

---

(١) رواية الباب واليونينية "لما قدم رسول الله ﷺ المدينة".

تُمهِلَ حتّى تَقدَمَ المدينةَ، فإنها دارُ الهجرةِ والسُّنَّة والسلامة، وتخلصَ لأهلِ الفقهِ وأشراف الناس وذوي رأيهمْ. قال عمر: لأقومنَّ في أولِ مقام أقومُه بالمدينة».

٣٩٢٩ ـ عن خارجةَ بن زيد بن ثابتٍ «أن أمَّ العلاء امرأةً من نسائهم بايعَتِ النبيَّ ﷺ - أخبرَتْهُ أن عثمانَ بنَ مَظعونٍ طارَ لهم في السُّكنى حينَ اقترعتِ الأنصارُ على سُكنى المهاجرينَ. قالت أمُّ العلاء: فاشتكى عثمانُ عندَنا، فمرَّضْتهُ حتى تُوُفّيَ، وجعلناهُ في أثوابه. فَدَخَلَ عَلينا النبيُّ ﷺ، فقلتُ: رحمة الله عَلَيْكَ أبا السائب، شَهادتي عليك لقد أكرمَكَ اللهُ. فقَالَ النبيُّ ﷺ: ومَا يُدْرِيكِ أنَّ اللهَ أكْرَمهُ؟ قالت: قلتُ لا أدري، بأبي أنت وأمي يا رسولَ الله، فَمَنْ؟ قالَ: أما هوَ فقد جاءَهُ والله اليقينُ، والله إني لأرجو لَهُ الخيرَ، وما أدري والله -وأنا رسولُ الله- مَا يُفعل بي. قالتْ: فَوَ الله لا أزكّي أحداً بعدهُ. قالتْ: فأحْزنني ذلك، فنمتُ، فرأيتُ لعُثمانَ عَينا تجري، فجئتُ رسولَ الله ﷺ وأخبرتُه، فقال: ذلك عمله».

٣٩٣٠ ـ عن عَائِشَةَ رضيَ اللهُ عَنْهَا قَالتْ: «كانَ يَوْمُ بُعاثٍ يوما قدَّمه الله عزَّ وجلَّ لرسوله ﷺ، فقدِمَ رسولُ الله ﷺ المدينة وقَدْ افترقَ مَلأُهم، وقُتلت سَراتهم في دخولهم في الإسلام».

٣٩٣١ ـ «عَنْ عَائِشَةَ أن أبا بكرٍ دخَلَ عَلَيْهَا والنبي ﷺ عندهَا يومَ فطرٍ -أو أضحىً- وعندهَا قيْنَتانِ تغنّيان بما تعازَفت الأنصارُ يومَ بُعاثٍ. فقال أبو بكر: مزمارُ الشيطانِ - مرَّتينِ- فقال النبيُّ ﷺ: دعْهُمَا يا أبا بكر، إنَّ لكل قومٍ عيداً، وإن عيدَنا هذا اليومُ».

٣٩٣٢ ـ عن أنَسِ بن مالكٍ رضيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: «لمَّا قَدِمَ رسولُ الله ﷺ المَدينةَ نزلَ في عُلوِّ المدينةِ، في حَيٍّ يُقال لهم بنو عمرو بن عَوف، قال: فأقامَ فيهم أربعَ عشرةَ ليلةً، ثم أرسلَ إلى ملأ بني النجار، قال: فجاءوا متقلّدي سيوفَهم. قال وكأني أنظرُ إلى رسولِ الله ﷺ على راحلته وأبو بكرٍ ردْفَه ومَلأ بني النجار حولهُ حتى ألقى بفناء أبي أيوبَ، قال: فكان يصلي حيث أدركته الصلاة ويُصلي في مرابضِ الغنم. قالَ: ثُمَّ إنَّهُ أمرَ ببناء المسجدِ، فأرسلَ إلى مَلأ بني النجارِ، فجاءوا. فقال: يا بني النجَّار ثامنوني بحائطكم هذا، فقالوا: لا والله لا نطلُبُ ثمنَهُ إلا إلى الله. قالَ: فكانَ فيه ما أقول لكُمْ: كَانت فيهِ قبورُ المُشْرِكِينَ، وكانَتْ فيهِ خِرَبٌ، وكان فيه نخلٌ. فأمَرَ رسولُ الله ﷺ بقبورِ المشركين فَنُبِشت، وبالخِربِ فسويت، وبالنخل فقطعَ، قال: فصفوا النخلَ قبلةَ المسجد؛ قال: وجعلوا عِضادَتَيهِ حجارةً. قالَ: جَعلوا ينقلون ذاكَ الصخرَ وهم يَرتجزون ورسولُ الله ﷺ مَعَهُمْ يقولونَ:

اللَّهُمَّ إِنَّهُ لا خَيْرَ إلا خَيْرَ الآخِرةْ فانْصر الأنصار والمهاجرة»

قوله (ثامنوني) ساوموني بثمنه.

قوله (بحائطكم) أي بستانكم.

قوله (فأمر رسول الله ﷺ بقبور المشركين فنبشت) قال ابن بطال: لم أجد في نبش قبور المشركين لتتخذ مسجدا نصاً عن أحد من العلماء، نعم اختلفوا هل تنبش بطلب المال؟ فأجازه الجمهور ومنعه الأوزاعي، وهذا الحديث حجة للجواز، لأن المشرك لا حرمة له حيا ولا ميتا، وقد تقدم في المساجد[1] البحث فيما يتعلق بها.

قوله (يرتجزون) أي يقولون رَجْزا، وهو ضرب من الشعر على الصحيح .

٤٧ ـ باب إقامة المهاجر بمكةَ، بعدَ قضاءِ نُسكه

٣٩٣٣ ـ عن عبد الرَّحْمن بنِ حُمَيدِ الزُّهري قال: سمعتُ عمرَ بن عبد العزيز يَسألُ السائبَ ابنَ أختِ النَّمِر: ما سمعتَ في سُكْنى مكة؟ قالَ: سمعتُ العلاءَ بن الحضرَميَّ قال: قال رسولُ اللّهِ ﷺ: «ثلاثٌ للمهاجِرِ بَعدَ الصَّدَر».

قوله (باب إقامة المهاجر بمكة بعد قضاء نسكه) أي من حج أو عمرة.

قوله (العلاء بن الحضرمي) اسمه عبد الله بن عماد، وكان حليف بني أمية، وكان العلاء صحابيا جليلا، ولاه النبي ﷺ البحرين، وكان مجاب الدعوة، ومات في خلافة عمر، وما له في البخاري إلا هذا الحديث.

قوله (ثلاث للمهاجر بعد الصَّدَر) أي بعد الرجوع من منى، وفقه هذا الحديث أن الإقامة بمكة كانت حراما على من هاجر منها قبل الفتح، لكن أبيح لمن قصدها منهم بحج أو عمرة أن يقيم بعد قضاء نسكه ثلاثة أيام لا يزيد عليها ولهذا رثى النبي ﷺ لسعد بن خولة أن مات بمكة، ويستنبط من ذلك أن إقامة ثلاثة أيام لا تخرج صاحبها عن حكم المسافر، وفي كلام الداودي اختصاص ذلك بالمهاجرين الأولين، ولا معنى لتقييده بالأولين، قال النووي: معنى هذا الحديث أن الذين هاجروا يحرم عليهم استيطان مكة، وحكى عياض أنه قول الجمهور، قال: وأجازه لهم جماعة يعني بعد الفتح، فحملوا هذا القول على الزمن الذي كانت الهجرة المذكورة واجبة فيه، قال: واتفق الجميع على أن الهجرة قبل الفتح كانت واجبة عليهم، وأن سكنى المدينة كان واجبا لنصرة النبي ﷺ ومواساته بالنفس، وأما غير المهاجرين فيجوز له سكنى أي بلد أراد سواء مكة وغيرها بالاتفاق، انتهى كلام القاضي، ويستثنى من ذلك من أذن له النبي ﷺ بالإقامة في غير المدينة، واستدل بهذا الحديث على أن طواف الوداع عبادة مستقلة ليست من مناسك الحج، وهو أصح الوجهين في المذهب، لقوله في هذا

---

(١) كتاب الصلاة باب / ٤٨ ح ٤٢٨ - ١ / ٢٧٨

الحديث «بعد قضاء نسكه» لأن طواف الوداع لا إقامة بعده، ومتى أقام بعده خرج عن كونه طواف الوداع، وقال القرطبي: المراد بهذا الحديث من هاجر من مكة إلى المدينة لنصر النبي ﷺ ولا يعني به من هاجر من غيرها لأنه خرج جوابا عن سؤالهم لما تحرجوا من الإقامة بمكة إذ كانوا قد تركوها لله تعالى، فأجابهم بذلك وأعلمهم أن إقامة الثلاث ليس بإقامة، قال: والخلاف الذي أشار إليه عياض كان فيمن مضى، وهل ينبني عليه خلاف فيمن فر بدينه من موضع يخاف أن يفتن فيه في دينه فهل له أن يرجع إليه بعد انقضاء تلك الفتنة؟ يمكن أن يقال إن كان تركها لله كما فعل المهاجرون فليس له أن يرجع لشيء من ذلك، وإن كان تركها فرارا بدينه ليسلم له ولم يقصد إلى تركها لذاتها فله الرجوع إلى ذلك انتهى. وهو حسن متجه، إلا أنه خص ذلك بمن ترك رباعا أو دورا، ولا حاجة إلى تخصيص المسألة بذلك، والله أعلم.

٤٨ ـ باب التاريخ. مِن أينَ أرَّخوا التاريخ؟

٣٩٣٤ ـ عن سَهْلِ بن سعدٍ قالَ: «ما عَدُّوا من مَبعَثِ النبيِّ ﷺ ولا من وفاته، ما عدُّوا إلا من مَقدَمِه المدينةَ».

٣٩٣٥ ـ عن عائِشَةَ رضيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «فُرِضتِ الصلاةُ ركعتَيْن، ثُمَّ هاجَرَ النبيُّ ﷺ فُفرِضَت أربعاً وتركت صلاةُ السفرِ من الأولى».

قوله (باب التاريخ) قال الجوهري: التاريخ تعريف الوقت.

قوله (من أين أرخوا التاريخ) كأنه يشير إلى اختلاف في ذلك، وأفاد السهيلي أن الصحابة أخذوا التاريخ بالهجرة من قوله تعالى {لمسجد أسس على التقوى من أول يوم} لأنه من المعلوم أنه ليس أول الأيام مطلقا، فتعين أنه أضيف إلى شيء مضمر وهو أول الزمن الذي عز فيه الإسلام، وعبد فيه النبي ﷺ ربه آمنا، وابتدأ بناء المسجد، فوافق رأي الصحابة ابتداء التاريخ من ذلك اليوم ، وفهمنا من فعلهم أن قوله تعالي {من أول يوم} أنه أول أيام التاريخ الإسلامي، كذا قال، والمتبادر أن معنى قوله {من أول يوم} أي دخل فيه النبي ﷺ وأصحابه المدينة والله أعلم.

قوله (مقدمه) أي زمن قدومه،ولم يرد شهر قدومه لأن التاريخ إنما وقع من أول السنة. وقد أبدى بعضهم للبداءة بالهجرة مناسبة فقال: كانت القضايا التي اتفقت له ويمكن أن يؤرخ بها أربعة: مولده ومبعثه وهجرته ووفاته، فرجح عندهم جعلها من الهجرة لأن المولد والمبعث لا يخلوا واحد منهما من النزاع في تعيين السنة، وأما وقت الوفاة فأعرضوا عنه لما توقع بذكره من الأسف عليه، فانحصر في الهجرة، وإنما أخروه من ربيع الأول إلى المحرم لأن ابتداء العزم على الهجرة كان في المحرم، إذ البيعة وقعت في أثناء ذي الحجة وهي مقدمة

الهجرة، فكان أول هلال استهل بعد البيعة والعزم على الهجرة هلال المحرم فناسب أن يجعل مبتدأ، وهذا أقوى ماوقفت عليه من مناسبة الابتداء بالمحرم.

٤٩ ـ باب قولِ النبيِّ ﷺ «اللهمَّ أمضِ لأصحابي هجرَتهم» ومرثيَتهِ لمن مات بمكة

٣٩٣٦ ـ عن عَامرِ بن سعدِ بنِ مالكٍ عن أبيهِ قالَ «عَادني النبيُّ ﷺ عامَ حجَّةِ الوَداع من مَرَضٍ أشفَيتُ منه على الموت فقلتُ: يا رسولَ اللهِ، بَلَغَ بي منَ الوَجع ما تَرى، وأنا ذو مال، ولا يَرِثني إلا ابنةٌ لي واحدة، أفأتَصدَّقُ بثُلُثي مالي؟ قال: لا، قال: فأتصدَّق بشطرِهِ؟ قال: الثُلُثُ يَا سعد، والثلث كثير، إنكَ أن تَذرَ وَرَثَتَكَ أغنياءَ خيرٌ من أن تذرَهم عالةً يتكفَّفون الناس - قال أحمد بن يونسَ عن إبراهيم: أن تَذَرَ ذُريتَك- ولستَ بنافقٍ نفقةً تَبتَغي بها وجهَ اللهِ إلا آجركَ اللهُ بهَا، حتَّى اللقمةَ تجعلها في في امرأتك، قلت: يارسول الله، أخلَّفُ بعد أصحابي؟ قال: إنكَ لن تخلَّفَ فتعمل عملاً تبتغي به وجهَ اللهِ إلا ازددتَ به درجةً ورفعة، ولعلَّكَ تخلَّفُ حتى يَنتَفِعَ بك أقوام ويُضَرَّ بك آخرون، اللَّهُمَّ أمضِ لأصحابي هجرتَهم، ولا تَرُدَّهُمْ على أعقابهم، لكنِ البائسُ سعدُ بن خَولةَ. يَرثي لهُ رسولُ اللهِ ﷺ أن تُوُفيَ بمكة». وقال أحمدُ بن يونسَ وموسى عن إبراهيمَ «أن تَذَرَ وَرَثَتكَ»

قوله (باب قول النبي ﷺ: اللهم أمض لأصحابي هجرتهم، ومرثيته لمن مات بمكة) والمراد هنا التوجع له لكونه مات في البلد التي هاجر منها.

٥٠ ـ باب كيف آخى النبيُّ ﷺ بينَ أصحابه؟

وقالَ عَبْد الرَّحمنِ بن عوفٍ «آخى النبيُّ ﷺ بيني وبين سعدِ بن الربيع لما قَدمنا المدينة» وقالَ أبو جُحَيفة «آخى النبيُّ ﷺ بينَ سلمانَ وأبي الدرداء».

٣٩٣٧ ـ عن أَنَسٍ رضيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: «قَدِمَ عبدُ الرحمن بن عوفٍ فآخى النبيُّ ﷺ بينه وبين سعدِ بن الربيع الأنصاريّ، فعرَضَ عليهِ أن يُناصِفَهُ أهلَهُ ومالَه، فقال عبدُ الرحمن: باركَ اللهُ لَكَ فِي أهلك ومَالِكَ، دلَّني على السوقِ. فربحَ شيئاً من أقطٍ وسمنٍ، فرآه النبيُّ ﷺ بعد أيامٍ وعليهِ وضرٌ من صُفرةٍ، فقالَ النبيُّ ﷺ: مَهْيَمْ يا عبد الرحمن؟ قال: يا رسُولَ الله ، تَزوَّجْتُ امرأةً من الأنصار، قال: فما سُقتَ فيها؟ فقال: وزْنَ نواةٍ من ذهب. فقال النبيُّ ﷺ أولِمْ ولو بشاة».

قوله (باب كيف آخى النبي ﷺ بين أصحابه) قال ابن عبد البر كانت المؤاخاة مرتين: مرة بين المهاجرين خاصة وذلك بمكة، ومرة بين المهاجرين والأنصار فهي المقصودة هنا، وذكر ابن سعد بأسانيد الواقدي إلى جماعة من التابعين قالوا: لما قدم النبي ﷺ المدينة آخى بين

المهاجرين، وآخى بين المهاجرين والأنصار على المواساة، وكانوا يتوارثون، وكانوا تسعين نفسا بعضهم من المهاجرين وبعضهم من الأنصار، وقيل كانوا مائة، فلما نزل {وأولو الأرحام} بطلت المواريث بينهم بتلك المؤاخاة. قلت: وسيأتي في الفرائض من حديث ابن عباس «لما قدموا المدينة كان يرث المهاجري الأنصاري دون ذوي رحمه بالأخوة التي آخى رسول الله ﷺ بينهم، فنزلت».

قال السهيلي: آخى بين أصحابه ليذهب عنهم وحشة الغربة ويتأنسوا من مفارقة الأهل والعشيرة ويشد بعضهم إزر بعض، فلما عز الإسلام واجتمع الشمل وذهبت الوحشة أبطل المواريث وجعل المؤمنين كلهم إخوة وأنزل {إنما المؤمنون إخوة} يعني في التوادد وشمول الدعوة، وذكر محمد بن إسحق المؤاخاة فقال «قال رسول الله ﷺ لأصحابه بعد أن هاجر: تآخوا أخوين أخوين، فكان هو وعلي أخوين، وحمزة وزيد بن حارثة أخوين، وجعفر بن أبي طالب ومعاذ بن جبل أخوين» وفي تفسير سنيد: آخي بين معاذ وابن مسعود، وأبوبكر وخارجة بن زيد أخوين، وعمر وعتبان بن مالك أخوين، وقد تقدم في أوائل الصلاة قول عمر «كان لي أخ من الأنصار» وفسر بعتبان، ويمكن أن يكون أخوته له تراخت كما في أبي الدرداء وسلمان. ومصعب ابن عمير وأبو أيوب أخوين، وأبو حذيفة بن عتبة وعباد بن بشر أخوين، وحاطب بن أبي بلتعة وعويم بن ساعدة أخوين وسلمان وأبو الدرداء أخوين، وكان ابتداء المؤاخاة أوائل قدومه المدينة، واستمر يجددها بحسب من يدخل في الإسلام أو يحضر إلى المدينة، وأخرج الحاكم وابن عبد البر بسند حسن عن أبي الشعثاء عن ابن عباس «أخى النبي ﷺ بين الزبير وابن مسعود» وهما من المهاجرين. قلت: وأخرجه الضياء في المختارة من المعجم الكبير للطبراني وابن تيمية يصرح بأن أحاديث المختارة أصح وأقوي من أحاديث المستدرك، وقصة المؤاخاة الأولى أخرجها الحاكم من طريق جميع بن عمير عن ابن عمر «آخي رسول الله ﷺ بين أبي بكر وعمر، وبين طلحة والزبير، وبين عبدالرحمن بن عوف وعثمان - وذكر جماعة قال -فقال علي: يارسول الله إنك آخيت بين أصحابك فمن أخي؟ قال أنا أخوك» وإذا انضم هذا إلى ماتقدم تقوى به.

٥١ ـ باب ـ * ٣٩٣٨ ـ عَنْ أنسٍ «أنَّ عَبْدَ اللهِ بن سَلامٍ بلغهُ مَقْدَمُ النبيِّ ﷺ المدينةَ، فأتاهُ يَسألهُ عن أشياءَ فقالَ: إني سائلُكَ عن ثلاثٍ لا يَعلمهُنَّ إلا نبيٌّ: ما أولُ أشراطِ الساعة، وما أول طعامٍ يأكلُه أهلُ الجنَّةِ، ومَا بالُ الولدِ ينزع إلى أبيهِ أو إلى أمهِ؟ قال: أخبرَنِي بهِ جبريلُ آنِفاً. قال ابنُ سَلام: ذاك عدوُّ اليهود من الملائكة. قال: أما

أولُ أشراطِ الساعةِ فنارٌ تحشرُهم من المشرِق إلى المغرب. وأما أولُ طعامٍ يأكلُه أهلُ الجَنَّةِ فزيَادة كبِدِ الحوت، وأما الولد فإذا سبق ماءُ الرجل ماءَ المرأة نزع الولدَ، وإذا سبق ماءُ المرأة ماءَ الرَّجُلِ نزعت الولد. قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله. قالَ: يارسولَ اللهِ، إنَّ اليهودَ قوم بُهت، فاسألهم عني قبل أن يَعلموا بإسلامي. فجاءت اليهود، فقال النبيُّ ﷺ: أي رجل عبد الله بن سلام فيكم؟ قالو: خيرنا وابن خيرنا، وأفضلنا وابن أفضلنا. فقال النبيُّ ﷺ أرأيتم إن أسلم عبدُ اللهِ بنِ سلام؟ قالوا: أعاذهُ اللهُ من ذلك. فأعادَ عليهم فقالُوا مثل ذلك، فخرجَ إِلَيْهِمْ عبدُ اللهِ فقالَ: أشْهَدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وأنَّ مُحَمَّداً رسولُ اللهِ. قالُوا: شرُّنا وابن شرِّنا، وتنقَّصوه. قال: هذا كنتُ أخافُ يارسولَ اللهِ».

٣٩٣٩، ٣٩٤٠ ـ عَنْ عَبْدِ الرَّحمن بن مُطعِم قال: «باعَ شَرِيكٌ لي دراهمَ في السوق نسيئةً، فقلتُ: سبحانَ اللهِ، أيصلحُ هذا؟ فقال: سبحان اللهِ، واللهِ لقد بعتُها في السوقِ فما عابهُ أحد. فسألت البَراءَ بن عازِبٍ فقالَ: قَدِمَ النبيُّ ﷺ ونحنُ نَتَبايعُ هذا البيعَ فقال: ما كانَ يداً بيد فَلَيْسَ بِهِ بَأسَ، ومَا كَانَ نَسيئةً فَلا يَصلحُ، والْقَ زيدَ بن أرقمَ فاسأله فإنه كان أعظمَنَا تِجَارةً. فسألتُ زيدَ بن أرقم فقالَ مِثله». وقال سفيانُ مرةً «فقال قَدِمَ علينَا النبيُّ ﷺ المدينةَ ونحنُ نتبايعُ، وقال: نسيئةً إلى الموسم أو الحج».

قوله (أما أول أشراط الساعة فنار تحشرهم من المشرق إلى المغرب) [وسيأتي الكلام على ذلك مستوفى في أواخر كتاب الرقاق.]

قوله (وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت) الزيادة هي القطعة المنفردة المعلقة في الكبد، وهي في المطعم في غاية اللذة، ويقال إنها أهنأ طعام وأمرأه.

قوله (نزع الولد) ووقع عند مسلم من حديث عائشة «إذا علا ماء الرجل ماء المرأة أشبه أعمامه، وإذا علا ماء المرأة ماء الرجل أشبه أخواله».

قوله (قوم بهت) وهو الذي يبهت السامع بما يفتريه عليه من الكذب.

قوله (باع شريك لي دراهم في السوق نسيئة) قد تقدم شرحه في كتاب الشركة[1]، والغرض منه هنا قوله «قدم علينا المدينة ونحن نتبايع» فإنه يستفاد منه أنه ﷺ أقرهم على ما وجدهم عليه من المعاملات إلا ما استثناه فبينه لهم.

٥٢ ـ باب إتيانِ اليهود النبيَّ ﷺ حينَ قدمَ المدينةَ

هادوا: صاروا يهوداً. وأما قوله هُدْنَا: تُبْنا، هائد: تائب

٣٩٤١ ـ عَنْ أبي هريرةَ عن النبيِّ ﷺ قال: «لو آمَنَ بي عشرةٌ من اليَهود لآمَنَ بي اليَهود».

(١) كتاب الشركة باب / ١٠ ح ٢٤٩٧ - ٢ / ٤٠٧

٣٩٤٢ ـ عَنْ أبي موسى رضيَ اللّهُ عنْهُ قالَ: «دخَلَ النبيُّ ﷺ المدينةَ وإذا أُناسٌ من اليهود يُعظمونَ عاشوراء ويصومونَهُ، فقال النبيُّ ﷺ: نحنُ أحقُّ بصومِه. فأمر بصومِه».

٣٩٤٣ ـ عنِ ابن عبّاسٍ رضيَ اللّهُ عنهما قالَ: «لمَّا قدمَ النبيُّ ﷺ المدينةَ وجد اليهودَ يصومون عاشوراء، فسُئلوا عن ذلك فقالوا: هذا اليومُ الذي أظفرَ اللّه فيه موسى وبني إسرائيل على فرعون، ونحن نصومُه تعظيماً له، فقال رسولُ الله ﷺ: نحن أولى بموسى منكم. فأمر بصومه».

٣٩٤٤ ـ عنْ عبدِ الله بنِ عبّاسٍ رضيَ اللّهُ عنهما «أن النبيَّ ﷺ كانَ يَسدِلُ شعرَهُ، وكانَ المشركون يَفرقونَ رءُوسَهم وكان أهلُ الكتاب يَسدِلون رؤسَهم، وكان النبيُّ ﷺ يحبُّ مُوافَقةَ أهلِ الكتاب فيما لم يؤمَر فيه بشيء، ثمَّ فَرَقَ النبيُّ ﷺ رأسَه».

٣٩٤٥ ـ عنِ ابنِ عبّاسٍ رضيَ اللّهُ عنهما قالَ: «هُمْ أهل الكتابِ جَزَّءوهُ أجزاءً، فآمَنوا ببعضهِ وكفروا ببعضهِ».

[الحديث ٣٩٤٥ - طرفاه في: ٤٧٠٥، ٤٧٠٦]

قوله (باب إتيان اليهود النبي ﷺ حين قدم المدينة) وروى أبو سعيد في «شرف المصطفى» من طريق سعيد بن جبير «جاء ميمون بن يامين وكان رأس اليهود إلى رسول الله ﷺ فقال: يارسول الله ابعث إليهم فاجعلني حكما فإنهم يرجعون إليّ، فأدخله داخلا، ثم أرسل إليهم فأتوه فخاطبوه فقال: اختاروا رجلا يكون حكما بيني وبينكم، قالوا قد رضينا ميمون بن يامين. فقال: اخرج إليهم فقال: أشهد أنه رسول الله، فأبوا أن يصدقوه. وذكر ابن إسحق أن النبي ﷺ وادع اليهود لما قدم المدينة وامتنعوا من اتباعه، فكتب بينهم كتابا، وكانوا ثلاث قبائل: قينقاع والنضير وقريظة، فنقض الثلاثة العهد طائفة بعد طائفة، فمَنَّ على بني قينقاع وأجلى بني النضير واستأصل بني قريظة، وسيأتي بيان ذلك كله مفصلا إن شاء الله تعالى.

قوله (لو آمن بي عشرة من اليهود لآمن بي اليهود) في رواية الإسماعيلي «لم يبق يهودي إلا أسلم» وكذا أخرجه أبو سعيد في «شرف المصطفى» وزاد في آخره قال: «قال كعب: هم الذين سمّاهم الله في سورة المائدة» فعلى هذا فالمراد عشرة مختصة وإلا فقد آمن به أكثر من عشرة، والذي يظهر أنهم الذين كانوا حينئذ رؤساء في اليهود ومن عداهم كان تبعا لهم، فلم يسلم منهم الا القليل كعبد الله بن سلام وكان من المشهورين بالرياسة في اليهود عند قدوم النبي ﷺ، ومن بني النضير أبو ياسر بن أخطب وأخوه حيي بن أخطب وكعب بن الأشرف ورافع بن أبي الحقيق، ومن بني قينقاع عبد الله بن حنيف وفنحاص

ورفاعة بن زيد، ومن بني قريظة الزبير بن باطيا وكعب بن أسدَ وشمويل بن زيد، فهؤلاء لم يثبت إسلام أحد منهم، وكان كل منهم رئيسا في اليهود ولو أسلم لاتبعه جماعة منهم، فيحتمل أن يكونوا المراد.

٥٣ ـ باب إِسلام سَلمانَ الفارسيِّ رضي اللّهُ عَنْهُ

٣٩٤٦ ـ عَنِ أبي عثمان «عن سلمان الفارسيِّ أنه تداوله بضعةَ عشرَ من ربٍ إلى رب».

٣٩٤٧ ـ عَنْ أبِي عُثْمانَ قال سمعتُ سلمانَ رضي اللّهُ عَنْهُ يقولُ: «أنَا من رامَ هُرْمُز».

٣٩٤٨ ـ عَنْ سلمان قالَ: «فترة بين عيسى ومحمدٍ صلى الله عليهما وسلم سِتُّمائةِ سنة».

قوله (تداوله بضعة عشر من رب إلى رب) أي من سيد إلى سيد، وكأنه لم يبلغه حديث أبي هريرة في النهي عن إطلاق رب على السيد، وقد مر في البيوع، وقد تقدم تفسير البضع وأنه من الثلاث إلى العشر على المشهور.

قوله (أنا من رام هرمز) مدينة معروفة بأرض فارس بقرب عراق العرب.

قوله (فترة بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام ستمائة سنة) والمراد بالفترة المدة التي لايبعث فيها رسول من الله، ولا يمتنع أن ينبأ فيها من يدعو إلى شريعه الرسول الأخير.